

آرسيڻ لوپيڻ

آرسيڻ لوپيڻ بوليس آداب



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي "موريس بلان" وقد لاقت إقبالأً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف . والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والانتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس . وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة . فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

أرسين لوبين بوليس آداب

(١)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠٠٠٠

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب

وبأية وسيلة إلا بعد الحصول علي موافقة خطية من الناشر .

مقدمة

لم يكن "فيكتور" المفتش ببوليس الآداب ، قبل ان يذيع صيته وتطبق شهرته الخافقين ، إلا شرطيا عجوزا حاذقا دائم التجهم والتقطيب . جاف الطبع عجيب الاطوار ، يؤدي عمله كأحد الهواة فلا يشتغل بقضية إلا إذا راقته في نظره وطاب له ان يضطلع بامرها ، ويستخدم في ابحاثه وسائل شاذة وطرقا غريبة طالما تحدثت عنها الصحف . وهو ، على ما جاء في تقرير "المسيو جوتييه" مدير الشرطة عنه:

"المفتش "فيكتور هوتان" ابن نائب عام سابق توفي في "تولوز" منذ اربعين عاما . وقد امضى شطرا كبيرا من حياته في المستعمرات وامتاز بكفاءة نادرة حتى كانت تعهد إليه أدق المهام وأخطرها ولكنه كان كثيرا ما ينقل من جهة إلى أخرى على اثر الشكاوى التي تقدم ضده من الأزواج والاباء الذين يغوي نساءهم وبناتهم ، وما لبث ان ترك الخدمة في المستعمرات بعد أن حالت هذه الفضائح دون بلوغه المراكز الإدارية الرفيعة ، وعاد إلى الاستقلال في العمل والحرية في اختيار السبل التي يستخدمها في ابحاثه فقد أثبت أنه من الرجال الافذاذ الذين يؤدون لإدارة الشرطة خدمات جليلة دون أن تكون له مطامع خاصة أو يبالى بالإعلان عن نفسه . مما يجعلني بالغ الرضا عن أعماله ."

ولم تكن شهرة "فيكتور" في ذلك الحين تعدو الدائرة الضيقة ، لرؤسائه وزملائه ، ولكنها ما لبثت أن ذاعت في جميع الأرجاء فجأة عندما وقف وجها لوجه أمام "أرسين لوبين" ، تلك الشخصية الجبارة الخارقة التي أضفت على قضية سرقة سندات الدفاع الوطني ومقتل الأب "ليسكو واليزماسون" أهمية بالغة . فكان النضال العنيف الذي

نشأ بينهما والنتيجة غير المنتظرة التي انتهت إليها تلك القضية .
سببا في أن تردد في أنحاء العالم قاطبة اسم "فيكتور" ، المفتش
ببوليس الآداب .

الفصل الأول

كانت المصادفة وحدها هي التي قادت المفتش "فيكتور" إلى "سينما بلتازار" في مساء ذلك الأحد فقد كان نائر الأعصاب منهك القوى على اثر مطاردة فاشلة ، فمضى متثاقلا إلى مقهى صغير بشارع "كليشي" وراح يتصفح إحدى صحف المساء وإذا به يجد فيها تلك الفقرة :

"تؤكد الأوساط العلمية أن اللص الذائع الصيت "أرسين لوبين" بعد أن طال صمته في السنوات القليلة الماضية قد شوهد أخيرا في إحدى مدن شرق فرنسا وقد سافر بعض مفتشي البوليس إلى تلك المدينة ولكن من المتوقع أن يستطيع "أرسين لوبين" كعادته، الإفلات مرة أخرى من قبضة العدالة ."

وكان "فيكتور" شرطيا صارما يمقت الخارجين على القانون ويعددهم أعداء شخصيين له ، فكز على أسنانه وهو يزداد حنقا وغضبا وغمغم يا للوغد !

وكانما أراد أن يسري عن نفسه قليلا ، فمضى إلى سينما "بلتازار" القريبة واتخذ لنفسه مقعدا في الشرفة . ولكن سرعان ما انتابه الملل إذ كانت الرواية من النوع البوليسي فاعتزم أن ينصرف في فترة "الاستراحة" ، وما إن اضيئت الأنوار وهم بالقيام حتى لمح على مقربة منه امرأة بارعة الجمال تجلس بمفردها في إحدى المقاصير الأمامية ذات وجه شاحب وشعر ذهبي ، من أولئك النساء اللاتي تشع الفتنة منهن وتجذب إليهن الأنظار من كل صوب .

وعندئذ عاد "فيكتور" إلى مقعده وهو يروض نفسه على الصبر حتى ينتهي العرض . وما كان ليعتقد في قرارة نفسه أنه ممن يروقون في عيون النساء الآن ، فهو يعلم حق العلم أن وجهه الهضيم ، وأساريره

الدائمة التقطيب ، وبشرته المجعدة ، وفؤديه المجللين بالشيب ومظهره المنقر الذي ينطق بأنه جندي متقاعد في الخمسين من عمره - كل ذلك ما كان ليَجعل له لدى الحسان حظوة او مقاما ولكنه كان رجلا لا يمل إدمان النظر إلى الجميلات ، قانعا بأن يرى فيهن ما يذكره بأيام الصبا الماضية .

فلما تالقت الأنوار ثانية في نهاية العرض استوت المرأة على قدميها فراها "فيكتور" فارعة الطول ، مشوقة القد ، بادية الأناقة . وتقدم نحوها متمهلا ليتأملها عن كثب ، ولكنه ما كاد يدنو منها حتى ثار في القاعة هرج شديد ، وارتفع صوت رجل يصيح في نبرات مختنقة :
"النجدة .. ! اقبضوا عليها .. لقد سرقنتي تلك اللصة اللعينة .

فانحنى الحساء فوق حافة المقصورة متطلعة كما انحنى "فيكتور" بدوره ف رأى في القاعة شابا بدينا قصير القامة يشير بيديه في هياج شديد وهو يحاول أن يدفع المحتشدين حوله ليشق لنفسه طريقا بينهم ولم ير "فيكتور" أو غيره من المشاهدين امرأة تحاول الفرار ، ومع ذلك فقد مضى الشاب في صياحه وهو يلوح بكلتا يديه :

- هناك . إنها تعبر الباب الآن . تلك السمراء ذات الثوب الأسود .
امسكوا بها .. لقد سلبتني مالي ! .

وافلح أخيرا في دفع الناس عنه مهرعا إلى الأبواب الخارجية حيث كاد "فيكتور" يلحق به إذ رأى من واجبه أن يخف لنجدته . وكان الطريق زاخرا بالمارة ، والظلام . يرخي سدوله ، فمكث الشاب جامدا في مكانه فوق الإفريز بضع ثوان يجيل نظراته الشاردة يمنا ويسرة بحثا عن ضالته ، ثم اندفع يعدو فجأة نحو ميدان "كليشي" لا يبالي بالأخطار التي يتعرض لها وهو يقفز بين عربات الترام والسيارات .. وكان قد كف عن الصياح ، ولكنه شعر بأن شخصا آخر يجري بجواره فزاد ذلك في حميته يضاعف من سرعته ، وعندئذ سمع صوتا يقول

له:

- ألا تزال تراها ؟ .. وكيف تستطيع أن تميزها في هذا الظلام بحق السماء ؟

فغمغم لاهثا : كلا .. لست أراها الآن .. ولكن لا ريب أنها مضت من هذا الطريق .. ثم انعطفت في طريق جانبي قليل الزحام . واستمر في عدوه حتى بلغ مفترقا للطرق فقال لرفيقه :

- امض إلى اليمين .. أما أنا فساذهب يسارا وسوف نلتقي في الميدان .. ولا تنس أنها فتاة ترتدي السواد ذات شعر أسود حالك . ولكنه ما كاد يسير قليلا في الطريق الذي اختاره حتى توقف عن الجري واستند إلى أحد الجدران لاهث الأنفاس مترنحا . وعندئذ فقط أدرك أن زميله لا يزال معه لم يفارقه ، فصاح به حائقا :

- ماذا ؟ . ألا تزال هنا ؟ . لقد طلبت إليك أن ...

- نعم .. ولكنني أراك يا صاح منذ غادرنا ميدان "كليثي" تسير على غير هدى ، وهذا مما يدعو إلى التفكير في الأمر قليلا .. فقد اعتدت مثل هذه الأمور .

فرمقه الشاب وراء كهلا أشيب الشعر ، وعجب إذ لم يلمح عليه أثرا للتعب أو الإجهاد بعد هذا العدو الطويل .. ثم قال : آه ! هل اعتدت ذلك حقا ؟ ..

- أجل فإنني من رجال الشرطة . المفتش "فيكتور" .
فبدا الاضطراب في أسارير الفتى وزاغت نظراته ثم غمغم :
- من رجال الشرطة ؟ . إنني لم أر أحدا منهم من قبل .
ثم مد إليه يده شاكرا ، وهو يستطرد : إلى اللقاء . لقد كنت بالغ الطيبة معي .. وهم بالمسير ولكن "فيكتور" أمسك به قائلا:
- وتلك المرأة ؟ . تلك التي سلبت أموالك ؟
- لا تهتم بذلك فسوف أجدها يوما ما .

- ولكنني قد أفيدك في شيء .. فهل ذكرت لي بعض المعلومات ؟

- عن أي شيء ؟ لقد كنت واهما !

ثم جد في السير حثيثا والمفتش "فيكتور" إلى جانبه يزداد التصاقا به كلما اشتدت رغبة الآخر في الخلاص منه .. ولم يتبادلا كلمة واحدة حتى وقف المفتش فجأة وهو يمسك بذراع الفتى ، وقال :
- دعنا ندخل هنا قليلا .

فنظر الفتى إلى حيث أشار "فيكتور" ، ورأى بابا منخفضا تعلوه تلك العبارة "مركز البوليس" فانتفض قائلا :

- هنا ؟ وماذا تريد أن نفعل في هذا المكان ؟

- نتحدث قليلا !

- هل جننت ؟ اغرب عن وجهي !

وكان "فيكتور" حائقا إذ أضاع عليه هذا الغبي فرصة التقرب إلى حسناء السينما الشقراء ، فجذبه من ذراعه في عنف .. وأراد الشاب أن يقاومه ولكنه ما لبث أن رأى نفسه يتدفع إلى داخل المخفر رغم أنفه ، بين جمع حاشد من الجنود .

وتقدم "فيكتور" إلى الضابط وعرفه بنفسه ، فتلقاه هذا في احترام بالغ ، إذ كان للمفتش شهرة مستفيضة بين رجال البوليس جميعا ، بينما تخاذل الشاب البدين فوق أحد المقاعد خائر القوى مفكك الأوصال .. و"فيكتور" يقول له :

- ألا تذكر لي لماذا كنت تعدو في الطريق كمن فقد صوابه ؟ لقد هربت السارقة واختفت عن ناظريك ، ومع ذلك فقد مضيت في العدو كأنك تفر من شيء ما ..

- ولكنني لم أؤذ أحدا بذلك ، ثم إنه ليس من شأنك فمن حقي أن أسير كما أريد ..

- دعك من هذا الهراء ، وهات أوراقك ..

- لن أعطيها لك .

ولم يطل الأمر كثيرا فما هي إلا لحظة حتى كان "فيكتور" يفتش ثيابه ويخرج حافظة أوراقه فيفحصها برهة ثم يقول :

- هل هذا اسمك ، "الفونس أوديجران" ؟ ألا تعلم شيئا عن هذا الاسم يا سيدي القوميسير ؟

فأجابه الضابط نفيا ، وعندئذ تناول "فيكتور" آلة التليفون وطلب إدارة المباحث الجنائية ، وبعد لحظة كان يقول :

- اهذا أنت يا "ليفوبور" ؟ إنني "فيكتور" المفتش ببوليس الآداب ، ومعني هنا بمخفر شارع "يورسين" شخص يدعى "أوديجران" ويبحث مظهره على الريبة ، فهل تعرفون شيئا عنه ؟ . ها . ماذا ؟ نعم .. الفونس أو ديجران .. برقية من "ستراسبورج" ؟ اتلها علي ، تماما ، بدين وقصير القامة وذو شوارب مدلاة ، هو بعينه ، من عندك من المفتشين ؟ مسيو "هيدوان" .. أخبره بالأمر ودعه يحضر إلى المخفر .. شكرا ..

ثم وضع المسامع والتفت إلى "أوديجران" قائلا :

- إذن فهذه قصتك ؟ وأنت ذلك الموظف الذي انقطع عن عمله في البنك المركزي بـ "ستراسبورج" منذ يوم الخميس الماضي واختفى عن الأنظار فاخفتت معه سندات الدفاع الوطني التسعة ؟ يا لها من صفقة رابحة يا صديقي ! تسعمائة ألف فرانك لا ريب أنها التي سرقت منك في السينما .. فمن هي السارقة ؟

وخارت عزيمة "أوديجران" فانخرط يبكي في حرارة كالاطفال ، ثم

قال:

- التقيت بها في المترو منذ يومين ، ثم قضينا السهرة معا ليلة أمس ، ولا ريب أنها لاحظت ذلك الغلاف الأصفر الذي كنت أخفيه في جيبتي الداخلي ، فقد ظلت طيلة الوقت في السينما تميل نحوي

وتقبلني .

- وهل كانت السندات في ذلك الغلاف ؟

- نعم ..

- ما اسم هذه المرأة ؟

- "أرنستين" . ولا أعرف غير ذلك .

- ألا تعرف مسكنها ؟

- نعم .. لا أعرفه .

- وماذا تعمل ؟

- كاتبة في مخزن للعقاقير الطبية .

- وأين هو ؟

- لست أدري . ولكننا كنا نلتقي في ميدان "المادلين" .

واشتد بكاؤه وعلا نحيجه حتى تعذر على "فيكتور" أن يفهم ما كان يغمغم به من أقوال فاكتفى بهذا القدر وأوصى القوميسير باتخاذ الحيلة اللازمة لحراسة الفتى لحين حضور المفتش "هيدوان" ثم انصرف إلى داره وهو يفكر في تلك الحسنة الفاتنة التي أفسد عليه "أوديجران" اللعين فرصة التقرب إليها والكشف عن دخيلة نفسها .

* * *

وكان "فيكتور" يقطن في مسكن صغير جم الأناقة والنظافة يقوم على شؤونه خادم كهل أمين ففي صباح اليوم التالي قرأ في الصحف قصة القبض على "أوديجران" كما رواها المفتش "هيدوان" وأحاطها بهالة من الزخرف والتنسيق ثارت لها نفس "فيكتور" إذ كان يعتقد أنه يجب على البوليس أن يؤدي واجبه في صمت وكاد ينصرف إلى شؤونه أخرى لا تمت بصلة إلى هذه القضية لولا أنه قرأ في نفس الصحيفة أن المدينة التي رؤي فيها "أرسين لوبين" أخيراً هي "ستراسبورج" أي نفس المدينة التي وقعت فيها سرقة سندات الدفاع الوطني . فهل هي محض

مصادفة ؟ . إنها كذلك بلا ريب فلا يمكن أن تكون ثمة صلة بين "أرسين لوبين" العظيم وذلك المغفل "أو ديجران" ومع ذلك فمن يدري؟

وعندئذ راح يبحث في الدليل عن مخازن العقاقير الطبية الواقعة في حي "المادلين" ، ولم تحن الساعة الخامسة بعد الظهر حتى علم أنه توجد فتاة تدعى "أرنستين" تعمل في "كنتوار الكيمياء المركزي" بشارع "مون تابلور" .. فاتصل بمديره تليفونيا وكانت الإجابة التي تلقاها كافية لأن يهرع في الحال إلى ذلك المتجر فراه يتألف من عدة حجرات ضيقة تفصل بينها حواجز رقيقة ، واقتيد إلى حجرة المدير حيث قوبل بعاصفة من الاحتجاج.

- "أرنستين بيليه" سارقة ؟ . وهي تلك المغامرة التي قرأت قصة فرارها في صحف هذا الصباح ؟! محال .. يا سيدي المفتش ، فهذه الفتاة ذات سمعة نقية لا تشوبها شائبة .. ومن أسرة شريفة طيبة تقيم معها .

- هل يمكنني أن أطرح عليها بعض الأسئلة ؟ .

فأرسل المدير في استدعائها فلما حضرت رأى "فيكتور" أمامه فتاة دقيقة الملامح تطل البراءة والطيبة من عينيها السوداءين لم تلبث أن انهارت مرة واحدة عندما سألها المفتش بلهجته الخشنة عما فعلته بالغللاف الأصفر الذي سلبته من رفيقها في السينما فأجهشت بالبكاء وهي تجيب :

إنه يكذب .. فقد رأيت غلafa أصفر ملقى على الأرض والتقطته دون أن أعلم أنه يخصه إلا عندما رأيت في الصحف أنه يتهمني بسرقة .

فمد إليها "فيكتور" يده قائلاً : أهو معك الآن ؟

- لا .. فقد وضعته في مكتبي بالقرب من الآلة الكاتبة .

- هيا بنا لنحضره .

فمضت امامه إلى حيث يوجد مكتبها في أحد الأركان ورفعت كومة من الأوراق كانت موضوعة فوق طرفه .. وما لبثت أن ارتعدت وبدأت عليها الدهشة وهي تغمغم : لا شيء .. لقد اختفى .

فصاح "فيكتور" في الموظفين المحتشدين حولهما : لا يتحرك أحدكم من مكانه .. هل كان معك أحد يا سيدي المدير عندما تحدثت إليك بالتليفون ؟

- لا .. بل دعني أتذكر .. نعم .. لقد كان عندي مدام "شاسان" رئيسة الحسابات .

- إذن فقد استطاعت أن تدرك الحقيقة من الكلمات التي سمعتها .
فباني أتذكر أنك كنت تخاطبني بيا "سيدي المفتش" كما فُهِت باسم "ارنستين" مرتين . ولما كانت تعلم بحادث الأمس فقد .. ولكن أين السيدة ؟

فأجابه أحد الموظفين : إنها تنصرف دائما في الساعة السادسة إلا ثلثا لتلحق بقطار الساعة السادسة .. فهي تقيم في ضاحية "سان كلو".

- وهل كانت قد انصرفت عندما دعوت "ارنستين" إلى حجرة المدير ؟
- لا .. كانت لا تزال هنا .

فقالت "ارنستين" : لقد كانت ترتدي قبعتها عندما طلبني المدير ورائني أخرج الغلاف من صدري وأضعه على المكتب تحت هذه الأوراق.

فنظر "فيكتور" إلى ساعته ثم طرح على الموجودين بضعة أسئلة عن مدام "شاسان" فعلم أنها في الأربعين من العمر ذات شعر أحمر مجعد وترتدي سترة من الصوف الأخضر .. ومن ثم هرع يغادر المتجر وإذا به يلتقي عند الباب بالمفتش "هيدوان" الذي صاح به في دهشة :

- ماذا ؟ . هل استطعت الوصول إلى هنا يا "فيكتور" ؟ . وهل رأيت عشيقة "أوديجران" . تلك التي تدعى "أرنستين" ؟ .

- نعم . وكل شيء على ما يرام .

ثم أسرع بمغادرته واستقل سيارته فبلغ المحطة في وقت تحرك قطار الساعة السادسة ولكنه استطاع أن يدركه .

وبلغ القطار محطة "سان كلو" بعد خمس عشرة دقيقة فخف "فيكتور" إلى مقابلة ناظر المحطة وسرعان ما روقب خروج المسافرين ، وكان عددهم كبيرا في هذا القطار ، وما لبث "فيكتور" أن لمح سيدة ذات شعر أحمر وسترة خضراء تحاول الخروج وسط الزحام فاقترب منها هامسا :

- هل لك أن تتبعيني يا سيدتي . إنني من رجال البوليس .

فانتفضت المرأة وغمغت ببضع كلمات ثم تبعت المفتش وناظر المحطة إلى مكتب هذا الأخير حيث قال لها "فيكتور" :

إنك تعملين في "كنوار الكيمياء المركزي" وقد أخذت معك من غير عمد غلافا أصفر يخص الآنسة "أرنستين" وكانت قد وضعت فوق مكتبها . فقالت المرأة في هدوء : أنا ؟ . لا ريب أن ثمة خطأ يا سيدي .

- سوف نضطر في هذه الحالة إلى ..

- إلى تفتيشي ؟ ولم لا ؟ . إنني تحت تصرفك .

وتردد "فيكتور" قليلا إزاء هدوئها ورباطة جأشها ولكنه ما لبث أن طلب إليها الانتقال إلى حجرة مجاورة حيث قامت إحدى عاملات المحطة بتفتيشها دون أن تعثر على أثر للغلاف أو لسندات الدفاع الوطني .

وعندئذ اكتفى "فيكتور" بأن سالها عن عنوانها . ثم خلى سبيلها . وفي تلك اللحظة وصل قطار من باريس وقفز منه المفتش "هيدوان" وما

إن رأى "فيكتور" حتى خف إليه في لهفة فتلقيه هذا قائلا :

- لقد وجدت مدام "شاسان" متسعا من الوقت لإخفاء الغلاف بفضل ثرثرتكم أمس في إدارة البوليس أمام الصحفيين ، وهكذا ترى أن هذه الثروة الطائلة قد تداولتها أيدي ثلاثة أشخاص في أقل من أربع وعشرين ساعة ، وهم "أوديجران" و"أرنستين" و"شاسان" ، وما عليك إلا أن تبحث عن الرابع .

ثم ترك المفتش "هيدوان" ذاهلا فوق الرصيف واستقل القطار العائد إلى باريس .

وفي اليوم التالي استأنف "فيكتور" أبحاثه الدقيقة في "سان كلو" . وكان على يقين من أن مدام "شاسان" ما كانت لتضع هذه الثروة الجسيمة في مكان ما كما أن الوقت لم يتسع لها حتى تخفي الغلاف في باريس ولا ريب أنها عهدت به إلى شخص كان معها في القطار في أثناء عودتها إلى "سان كلو" . ولذلك ينبغي أن يدور بحثه حول الأشخاص الذين قدموا في نفس القطار وتربطهم صلة وثيقة بتلك السيدة .

وذهب للقاء مدام "شاسان" في منزلها ولكنه لم يظفر منها بغير النقي القاطع .. وكانت تقيم مع أمها منذ أن رفعت دعوى الطلاق ضد زوجها ، وهو تاجر حديد في "بونتواز" .. وكانت الأم وابنتها تتمتعان بسمعة طيبة ولا تسمحان بزيارتهما إلا لثلاث صديقات مقدمات في العمر ثبت أنهن لم يرحن منازلهن ولم يذهبن إلى باريس منذ عدة أيام . كما أن مدام "شاسان" كانت من الدمامة بحيث لا يمكن أن تتهم بسوء السلوك ! .

ولم تتقدم أبحاث "فيكتور" خطوة واحدة يوم الأربعاء .. ولا ريب أن ذلك السارق الرابع قد اتخذ من وسائل الحيلة ما ينأى به عن

الشبهات والريب . وفي يوم الخميس ذهب إلى جارسن ، وهي المحطة
المجاورة لسان كلو ، وراح يستأنف البحث ، وأخيرا استقر به المقام
في مقهى أمام بناء المحطة وإذا به يفاجأ بقوم المفتش "هيدوان" في
الساعة التاسعة من المساء ليقول له صاحبا :

- يا إلهي ! هانذا أجرك أخيرا بعد أن ظللت أبحث عنك طيلة
اليوم.. فإن المدير شديد الحنق لعدم اتصالك بالإدارة ولكن قل لي هل
وصلت إلى أية نتيجة ؟

- وأنت ؟

- لا شيء البتة .

فصمت "فيكتور" برهة ثم قال بغتة :

- إن لمدام "شاسان" عشيقا !

- هل جننت ؟ بوجهها هذا ؟

- لقد اعتادت الأم وابنتها أن تمضيا يوم الأحد في النزهة بين
الحقول ، وقد شوهدتا منذ أسبوعين في صحبة رجل يدعى "ليسكو" ،
وهو كهل في الخامسة والخمسين قصير القامة ، نحيل الجسم ، ذو
لحية كثة أدنى إلى الشيب ، ويقيم في "جارسن" بالقرب من الغابة في
منزل صغير يطلق عليه اسم "كوخ" .

- إذا كان هذا كل ما وصلت إليه فهي معلومات تافهة .

- إن أحد جيرانه ، وهو عامل بمحطة "جارسن" يدعى "قاليانت" ،
يستطيع وحده أن يزودني بمعلومات أكثر قيمة ودقة ولكنه ذهب اليوم
إلى "فرساي" مع زوجته .

وهانذا في انتظار عودته .

ولبثا في الانتظار ساعات عديدة دون أن يتبادلا كلمة واحدة ، فقد
كان "فيكتور" ميالا إلى الصمت لا ينفك يدخن في عصبية شديدة .. ولم

يصل عامل المحطة إلا في منتصف الليل فقال ردا على اسئلتها إنه يعرف الأب "ليسكو" حق المعرفة إذ يقيم على مقربة من منزله . وهو رجل محب للعزلة لا يهتم إلا بجديقه ولكن كثيرا ما تأتي امرأة إلى منزله في جناح الظلام فتمضي فيه ساعة أو نحوها ثم تنصرف متسللة .. أما هو فلا يغادر "الكوخ" إلا في أيام الأحاد للنزهة . ويوما في الأسبوع ليذهب إلى باريس .

فساله "فيكتور" :

- أي يوم ؟

يوم الاثنين غالبا .

إذن ففي يوم الاثنين الماضي ؟

- نعم .. فأني أذكر أنني تسلمت منه تذكره العودة في المحطة .

- في أية ساعة ؟

- إنه يستقل نفس القطار دائما .. ذلك الذي يصل إلى "جارسن" في

الساعة السادسة وتسع عشرة دقيقة .

فتبادل الشرطيان النظر ثم ساله "هيدوان" : ألم تره منذ ذلك الحين ؟

- نعم .. لم أره

- ولكن زوجتي تراه كل يوم إذ هي التي تبيع الخبز لسكان

الضاحية وهي تزعم أن شبعا كان يتجول حول كوخ الأب "ليسكو"

ليلاي الثلاثاء والأربعاء الماضيين إذ لم يكف كلبه عن النباح .. وقد

رأت الشبح فوجدته رجلا يرتدي قبعة رخوة "كاسكت" رمادية اللون .

- ألم تعرف شيئا عن هذا الرجل .

- بلى .. فهي تعتقد أنها قد عرفتة ، ولكنها لم تخبرني باسمه ..

وسوف تعود غدا من "فرساي" فيمكنك أن تسألها . وانصرف الرجل

لشأنه ، فقال "هيدوان" :

- سوف نزور الأب "ليسكو" في الصباح الباكر وإلا أفلتت السندات من يده بدوره .

- إذن دعنا نذهب لرؤية "الكوخ" الآن .

وسارا في صمت في الطريق المقفرة التي تؤدي إلى طرف الغابة التي يقوم على جانبيها "فيللات" صغيرة ، حتى بلغا منزلا صغيرا ذا طابقين تحيط به حديقة صغيرة وحولها سياج من القضبان الحديدية تغطيه بعض النباتات المتسلقة ، فهمس "فيكتور" : هناك ضوء في المنزل .

- نعم .. في النافذة اليمنى للطابق الأول .. ولا ريب أن الستائر لم يحكم إسدالها .

وعندئذ لاح لأنظارهما ضوء آخر انبعث من النافذة اليسرى ثم اختفى وانبعث من جديد .. فقال "فيكتور" : عجبا .. إن الكلب لا ينبج رغم وجودنا .. مع أنني أرى حجرته أمامي .
- لعل أحدا قتله .

- من ؟

- ذلك الشبح الذي كان يتجول حول الكوخ في الليلتين الماضيتين.

- معنى ذلك أن هناك شيئا يجري في المنزل الآن .. فهيا بنا نطوف حول الحديقة .. أصغ ، لقد سمعت صيحة في الداخل .

وعندئذ توالى صيحات الاستغاثة عالية .. وتبعها طلق ناري .. ثم صيحات أخرى .. فدفع "فيكتور" باب الحديقة بكتفه مرة واحدة ، وأسرع الرجلان يعبران الحديقة ويتسلقان الشرفة ، حيث وجدا نافذة مفتوحة ولجأها إلى داخل المنزل .. فارتقى "فيكتور" الدرج وفي يده مصباحه الكهربائي حتى إذا ما بلغ الطابق الأول وجد أمامه بابين فأسرع بولوج أحدهما بينما ظل المفتش "هيدوان" ليحرس الآخر .

ورأى "فيكتور" على ضوء مصباحه جسما ممددا في وسط الحجرة ينتفض في شدة ، بينما شاهد رجلا يسرع بالفرار إلى الحجرة المجاورة ، فهرع خلفه وراه يخرج من الباب الآخر الذي كان "هيدوان" يحرسه من الخارج .

ولكنه حين كان يجتاز تلك الحجرة لمح شبح امرأة تعبر النافذة المطلة على واجهة المنزل الخلفية وتهبط منها في سهولة بحيث أيقن انها تهبط سلما مسندا إلى الجدار ، وسدد إليها ضوء مصباحه الكهربائي .. وعندئذ رآها ، وعرفها .

لم تكن سوى حسناء سينما بلتازار الشقراء !.

وكاد يثب وراءها بدوره لولا أنه سمع زميله المفتش "هيدوان" يناديه ، وتلا ذلك طلق ناري تبعه صوت زميله وهو يتأوه وتنثال اللعنات من شفتيه ، فأسرع نحوه وأمسك به قبل أن يهوي إلى الأرض . بينما كان الجاني قد وصل إلى أسفل الدرج ، وغمغم المفتش "هيدوان" قائلا :

- الحق به ، فما بي من شيء ، إنها في الكتف .

ومع ذلك فقد ظل متشبثا بـ"فيكتور" ، وأدرك هذا عبث مطاردة الهاربين فحمل زميله إلى أريكة في الحجرة الأولى وأرقده فوقها ثم ركم بجوار القتيل وما لبث أن قال :

- إنه الأب "ليسكو" نفسه ، وقد مات .

- والغلاف الأصفر ؟ . ابحث عنه في جيوبه .

ففتش "فيكتور" الجثة . وقال :

- ها هو ذا . ولكنه ممزق وخال من أي شيء ، ولا ريب أنه الغلاف

المنشود فإني أرى عليه اسم المصنع بـ"ستراسبورج" ، حيث وقعت السرقة الأولى .

أخذ فيكتور إلى الصمت ، وراح يفكر في تلك المرأة الفاتنة التي
فاجأها منغمسة في الجريمة وهو يعجب أشد العجب أي دور تلعبه
في هذه المساة .

الفصل الثاني

أيقظت الضجة عامل المحطة وبعض الجيران فحفوا إلى المكان، وأبلغ أحدهم الأمر إلى بوليس "سان كلو"، بينما أسرع آخر لإحضار أحد الأطباء، فقرر أن الأب "ليسكو" مات من رصاصة أصابته في صدره، وأما المفتش "هيدوان" فكانت إصابته طفيفة، وما لبث أن نقل إلى باريس.

فلما حضر قوميسير البوليس أطلعه "فيكتور" على تفاصيل الحادث واستقر رأيهما على الانتظار إلى الصباح ليفحصا الآثار التي خلفها الجناة في ضوء النهار وما كاد الصبح ينبلج حتى غصت الدار والحديقة بحشد غفير من رجال الشرطة والمباحث والمحققين الذين قدموا من باريس لهذا الغرض. ولكن البحث الذي قاموا به، وكذلك الذي تولاه "فيكتور" بمفرده، لم يسفر عن أية نتيجة، ولم يوجد ما ينم عن شخصية القاتل أو شريكته الحسناء التي فرت من النافذة، ولكنهم اكتشفوا آثار السلم الذي كان مسندا إلى الجدار، أما السلم نفسه فلا ريب أنه من النوع المعدني الذي يسهل طيه وحمله إذ لم يعثر له على أثر، ولم يعرف أحد كيف فر الجانيان، إلا أن بعض الناس شهد بأن سيارة كانت تقف منذ منتصف الليل على بعد ثلثمائة متر من مكان الجريمة في طريق جانبية بين أشجار الغابة وسمع محركها يدور في الساعة الواحدة والربع، كما وجدت آثار عجلاتها في الطريق المؤدية إلى باريس.

ووجد كلب الأب "ليسكو" ميتا، وقد قتله السم، كما تبين أن الرصاصة التي قتلته وتلك التي أصابت المفتش "هيدوان" من مسدس أوتوماتيكي من عيار سبعة مليمترات.. ولكن أين هو؟

ولم يتقدم التحقيق بعد ذلك خطوة واحدة ، وكان "فيكتور" لا يميل إلى الوسائل التي يتبعها رجال البوليس غالبا وإنما يحب أن يخلو إلى نفسه للتفكير في نفسية الجريمة والمجرمين ، ولذلك تسلل في هدوء وانصرف تاركا الدار ومن فيها .

ومضى إلى مسكن "فاليانت" عامل المحطة ولكن زوجته - وكانت قد عادت من فرساي - انكرت أنها تعرف شيئا عن الموضوع أو تعلم شيئا عن شخصية الرجل الذي كان يتجول حول "الكوخ" في الليلتين السابقتين ، فذهب "فيكتور" إلى المحطة ودعا "فاليانت" إلى تناول كأس من الشراب في المشرب المقابل . وسرعان ما حل الشراب عقل لسانه ، فقال :

- أنت ترى أن زوجتي "جرنرود" هي التي تبيع الخبز لسكان الضاحية وتخشى أن تفقد عملاءها إذا انطلق لسانها بالثرثرة . أما أنا فموظف في الحكومة ومن واجبي أن أساعد العدالة .
- حسنا .. وبعد ؟

- وبعد ؟ . هاك أولا "الكاسكت" الرمادية فقد وجدتها هذا الصباح في صندوق القمامة أمام مسكني ، ولا ريب أن الجاني طوح بها في أثناء فراره فسقطت فيه ، وتؤكد "جرنرود" أن الرجل الذي رآته يضعها فوق رأسه كان يتجول في ليلتي الثلاثاء والأربعاء حول "الكوخ" إنما هو رجل يقيم في هذه الضاحية وتحمل له الخبز كل صباح .
- ما اسمه ؟

- البارون "مكسيم دونري" . انظر .. هل ترى ذلك المنزل الكبير الذي يقع إلى اليسار على بعد خمسمائة متر ! إنه يقيم في الطابق الرابع منه مع زوجته وخادمتها العجوز ولكنهم أناس طيبون حتى لا عجب إذا لم تكن "جرنرود" قد أخطأت في حدسها .
- وكيف يعيش البارون .. هل له مورد خاص ؟

- لا . بل هو غارق في الديون إلى ذقنه ويذهب كل يوم إلى باريس

فرارا من دائنيه ؟

- ومتى يعود ؟

- بقطار الساعة السادسة غالبا .

- وهل عاد في ذلك القطار يوم الاثنين الماضي ؟

- بلا ريب ، فإني أراه كل يوم . ولكني لا أعرف شيئا عن الأمس إذ

كنت غائبا عن المحطة .

فاخلد "فيكتور" إلى الصمت ، وكان من الميسور أن يتخيل القصة على هذا النحو : كانت مدام "شاسان" تعود من باريس بقطار الساعة السادسة وتجلس إلى جوار الأب "ليسكو" الذي اعتاد العودة بهذا القطار ، ولم تكن تجرؤ على التحدث إلى عشيقها أمام الناس حرصا على سمعتها ، ولكنها في ذلك اليوم وهي تحمل تلك الثروة الطائلة ، استطاعت أن تخبره بأن معها شيئا تريد أن تعهد به إليه ، وأن تعطيه الغلاف الأصفر خلسة ، ولا ريب أن البارون "دونري" وهو يعود في نفس القطار لمح هذه الحركة وكان قد قرأ الصحف وعرف نبأ الغلاف الأصفر ، ففهم ، ثم غادرت مدام "شاسان" القطار في "سان كلو" بينما بقي الأب "ليسكو" إلى "جارسن" فتبعه البارون "دونري" حتى عرف منزله ومن ثم راح يتجول حوله ليلتي الثلاثاء والأربعاء حتى إذا ما حل يوم الخميس بدأ ينفذ خطته .

ولكن هل كان الأمر بهذه السهولة حقا ؟ . ومن هي تلك الحسنة ذات الشعر الذهبي التي اقترن ظهورها بالغلاف الأصفر مرتين مرة في السينما عندما سرق الغلاف لأول وهلة من "أوديجران" ، ومرة ثانية ليلة مقتل الأب "ليسكو" ؟

ولم يتوان "فيكتور" لحظة واحدة ، فذهب إلى مسكن البارون "دونري" فقاوده الخادمة إلى حجرة استقبال متواضعة حيث وافته بعد لحظة

سيدة عليها مسحة من الجمال ، مكتنزة اللحم ، سالتة في شموخ عما
يرغب فقال بعد أن قدم إليها نفسه :

- أود أن أتحدث إلى البارون "دونري" بشأن بعض أشياء وقعت في
قطار الساعة السادسة يوم الاثنين الماضي .

- لا ريب أنك تعني سرقة الغلاف الأصفر الذي قرأنا عنه في
الصحف ؟

- نعم ، فقد ترتب على هذه السرقة جريمة قتل وقعت في "جارسن"
هذه الليلة وكان ضحيتها شخص يدعى "مسيو ليسكو".

- "مسيو ليسكو" ؟ .. إنني لم أسمع بهذا الاسم . وهل يرتاب
البوليس في شيء ؟

- لا . لا شيء حتى الآن . ولكنني كلفت بأن أجمع بعض التحريات
من الأشخاص الذين استقلوا قطار الساعة السادسة من باريس إلى
"جارسن" يوم الإثنين الماضي .

- سوف يجيبك زوجي بنفسه عند عودته يا سيدي فهو في باريس
الآن . وانتظرت أن ينسحب المفتش .. ولكنه قال :

- هل يخرج البارون أحيانا بعد العشاء ؟
- نادرا .

- ومع ذلك فإنه في ليلتي الثلاثاء والأربعاء ...

- أما . إنه خرج للنزهة حقا في هاتين الليلتين إذ كان يشعر بصداغ
شديد .

- وبالأمس ؟

- لقد أخرته بعض أعماله في باريس .

- وهل قضى الليلة هناك ؟

- لا . بل عاد منها في أثناء الليل .

- في أية ساعة ؟

- الواقع أنني كنت نائمة ولكني سمعت الساعة تدق الحادية عشرة بعد عودته بقليل .

- الحادية عشرة أي قبل وقوع الجريمة بساعتين ؟ هل أنت واثقة بذلك يا سيدتي ؟

فاجابته البارونة في ترفع : إنني لا أكذب أبدا .

- هل تبادلتما الحديث عند عودته ؟

- لا ريب .

- إذن فقد كنت مستيقظة تماما ؟

فاحمر وجه المرأة كأنما تملكها الخجل فجأة ، ولم تخرجوا . فاستطرد "فيكتور" :

- متى خرج البارون في هذا الصباح ؟

- في الساعة السادسة . ولكن لم تسألني هذه الأسئلة ؟

- إن أبحاثنا تقتضي مثل هذا الفضول في بعض الأحيان يا سيدتي فمعذرة . ثم أخرج من جيبه القبعة الرمادية . وأردف : هل هذه قبعة البارون ؟

فتأملتها البارونة ثم أجابت : نعم ، وهي قبعة قديمة لم يستعملها منذ سنين ، وكنت أضعها في أحد الأراج مع الثياب القديمة المهملة .

ولم يشك "فيكتور" ، إزاء هذه الصراحة الفريدة ، أن البارونة لم تكذب قط ، والواقع أن حارسة الباب أيدتها فيما ذكرته عندما سألتها بعد ذلك إذ قررت أن البارون عاد في الساعة الحادية عشرة من المساء ثم خرج في الساعة السادسة صباحا ، وأضافت بأن أحدا لم يدخل المنزل أو يغادره في أثناء الليل والإلراثة حتما .

ومضى "فيكتور" تتنازعه الريب ، فعلى الرغم من الأدلة التي تنهض ضد البارون ، كان من المحال أن يغفل عن دليل النفي القاطع الذي هيأته له الظروف وهو أنه وقت ارتكاب الجريمة كان في منزله بالقرب

من زوجته .

ولكنه عندما سال عمال المحطة عما إذا كان البارون "دونري" قد
استقل قطار الساعة السادسة صباحا إلى باريس كان جوابهم جميعا:
لا فكيف غادر "جارسن" إذن ؟

ومضى بعد الظهر يجمع التحريات عن البارون "دونري" وأسرته
فقادته إبحائه إلى صاحب المنزل الذي يسكنه البارون ، وهو المسيو
"جوستاف جيروم" ، عضو المجلس المحلي وتاجر الأخشاب المعروف
وعلاقته السيئة بالبارون وزوجته موضوع حديث الضاحية بأسرها .
وكان المسيو "جيروم" يقطن مع زوجته بمنزل أنيق في نفس المنطقة ،
فلما ذهب "فيكتور" للقاءه وجد الباب مفتوحا فظل يقرع الجرس مدة
طويلة ثم ما لبث أن أقدم على الدخول . وعندئذ سمع ضجة في الطابق
العلوي ، يتخللها صوت سيدة تصيح في غضب وانفعال :

- إنك لست إلا سكيراً فاسقاً . إيها السيد "جوستاف جيروم" ، عضو
المجلس المحلي . ما الذي كنت تصنعه ليلة الأمس في باريس أيها
العرييد ؟ ..

- إنك تعلمين يا عزيزتي أنني كنت أتعشى مع "ديفال" وبعض رجال
الأعمال .

- رجال الأعمال أم غانيات "الفولي برجوير" ؟ أظننني لا أعرف "ديفال"
هذا . إنه فاجر كبير .

- هل جننت يا "هنرييت" ؟ إنني أكرر القول بأنني عدت مع "ديفال"
بالسيارة .

- في أية ساعة ؟

- لست أدري .

- أجل . لأنك كنت ثملاً . ولكن لا ريب أنها كانت الساعة الثالثة أو
الرابعة صباحاً فقد انتهزت فرصة نومي .

وتطورت المناقشة بين الزوجين إلى معركة ، فأسرع السيد "جبروم" يهبط الدرج ووراءه زوجته وإذا به يرى "فيكتور" واقفا في الردهة السفلى محيرا لا يدري ما يصنعه ويقول معتذرا :
- لقد قرعت الجرس ولكن أحدا لم يجب .. ولذلك .

فانفجر المسيو "جبروم" ضاحكا ، وهو رجل مرح في الأربعين من عمره ، وما لبث أن قال : وهل سمعت ؟ ، لقد كانت مناقشة عائلية . أه! لا بأس . فإن هنرييت خير النساء ولكن إلى من أتشرف بالحديث ؟
- المفتش "فيكتور" ، من بوليس الأداب .

- أوه . هل هي حادثة الأب "ليسكو" المنكود أيضا ؟
ثم قاده إلى مكتبه وهناك قال "فيكتور" : لقد جئت لاستفسر منك عن مستأجر منزل . البارون "دوتري" . فكيف الحال بينكما ؟

- أسوأ حال . فقد ظلت أقيم مع زوجتي في المسكن الذي يشغله الآن زهاء عشر سنوات ولا نزال نأسف أن أجرناه له . فهو لا يكف عن المشاغبة لأسباب تافهة ، فمثلا ظل المحضرون يترددون علي بإذارات شديدة اللهجة بشأن المفتاح الثاني للمسكن وقد سلمته إليه منذ استأجره ولكنه يزعم العكس .. وبذلك استحكم الخلاف بيننا حتى انتهى إلى عداء شديد .

- وإلى معركة ! ..

- هل سمعت بها ؟ أجل . فقد تلقيت لكمة شديدة في وجهي من البارونة ! ولكنها سوف تأسف عليها ، ثم إنه كثير المماطلة لا يدفع الإيجار في مواعيده ولعلك لا تعلم أنه سبق أن أشهر إفلاسه في "جرينوبل" وذاعت قصص كثيرة عن احتياله في "ليون" ، وعلى العموم فإن له ماضيا مثقلا بالفضائح والمخازي .

انصرف "فيكتور" بعد قليل وما كاد يغلق الباب خلفه حتى سمع صوت مدام "جبروم" من جديد : أين كنت أيها الكاذب الوقح؟ ألا

تخبرني أين أمضيت الليلة !

(*)

ذهب إلى المحطة واتخذ مجلسه في المقهى المقابل لها . وبعد قليل فوجئ برجل وسيدة من سكان "جارسن" قدما للتو من باريس وراحا يؤكدان أنهما رآيا البارون "دونري" بالقرب من محطة الشمال بباريس في إحدى سيارات الأجرة مع سيدة شابة كما لاحظا وجود حقيبتين كبيرتين إلى جانب السائق .

ولم يدر "فيكتور" هل يصدق هذه الشهادة أو يضعها موضع الشك ولكنه ما لبث أن قال لنفسه : سوف نعلم الحقيقة بعد قليل . فإما أن يكون البارون قد فر إلى بلجيكا ومعه السندات المسروقة ، وتكون رفيقته هي الغادة الشقراء التي فاجأتها تهبط من نافذة الأب "ليسكو" . وإما أن يكون الشاهدان وإهمين فيما يزعمان ويعود البارون من باريس في قطاره المعتاد ، وبذا تكون شكوكنا رغم هذه الظواهر جميعا على غير أساس .

ومضى إلى المحطة حيث وجد "فاليانت" واقفا بالقرب من باب الخروج فدنا منه ووقف بجواره في انتظار وصول القطار حتى إذا ما هبط منه المسافرون وكزه فاليانت بذراعه وهو يقول في صوت خافت : أتري هذا السيد ذا المعطف الرمادي والقبعة الرخوة ؟ إنه البارون "دونري" .

ولم ير "فيكتور" في مظهر الرجل ما يريب . فقد كان الهدوء الذي يكسو أساريره لا يدل بحال من الأحوال على أنه رجل ارتكب جريمة قتل في الليلة الماضية . إذ كان يسير في خطى طبيعية ، وحيا عامل المحطة بإيماءة من رأسه ، ثم عرج إلى اليسار نحو مسكنه وهو يمسك بإحدى صحف المساء ويحركها في يده في غير اكتراث تبعه "فيكتور" عن كثب حتى إذا ما ارتقى الدرج وهم بإخراج المفتاح

قال له :

- البارون "دونري" فيما اظن .

- ماذا تريد يا سيدي ؟!

- بضع دقائق من وقتك . إنني المفتش "فيكتور" من بوليس الآداب .

فاجفل البارون وتقلص فكاه . ولكن ذلك لم يدم أكثر من لحظة خاطفة استعداد هدوءه بعدها ثم إن إجفاله هذا قد لا يدل على شيء فهو الأثر الطبيعي الذي تحدثه زيارة مفاجئة من رجال البوليس في نفوس أولئك الأطهار الذين لا تربطهم بالقانون والجرائم أية صلة .

وكانت مدام "دونري" جالسة تطرز بالقرب من النافذة فما إن رأت زوجها ومعه "فيكتور" حتى نهضت دفعة واحدة وعندئذ قال البارون :

- دعينا على انفراد يا "جبريل" .

فقال "فيكتور" :

لقد قابلت البارونة هذا الصباح ولن يضايقنا وجودها في شيء .
فلم يبد على البارون اثر للضيق أو الحرج وإنما أشار إلى "فيكتور" بالجلوس وهو يقول :

- لقد قرأت اسمك في هذه الصحيفة يا سيدي لمناسبة التحقيق الذي تقوم به . ولا ريب أنك تريد أن تسألني بصفتي مشتركاً في الخط واستقل قطار الساعة السادسة دائماً . فدعني أقل لك إنني لا أذكر الأشخاص الذين جلست معهم في ذلك القطار يوم الاثنين الماضي ولم أر شيئاً مريباً أو غامضاً أصفر .

فتدخلت مدام "دونري" قائلة :

- إن المفتش يذهب إلى أبعد من ذلك يا "مكسيم" . فهو يريد أن يعرف أين كنت تلك الليلة بينما كُنت جريماً قتل ترتكب في "جارسن" ؟
فانتفض البارون قائلاً :

- ما معنى ذلك ؟

فقدم له "فيكتور" الكاسكت الرمادية وقال :

- هذه هي القبعة التي كان القاتل يرتديها ، والقى بها في مكان قريب من هنا . وقد فهمت من مدام "دونري" أنها تخصك .

- تعني أنها كانت تخصني ؟ فهي قبعة أهملتها منذ سنوات وكنت أضعها في أحد الدواليب . اليس كذلك يا "جبرييل" ؟

- بلى ، وقد رأيته بنفسه منذ أسبوعين في موضعها .

- ولكني أخذتها منذ أسبوع فالقيت بها في أحد صناديق القمامة ، ولا ريب أن أحد المتشردين قد عثر عليها وأخذها وماذا أيضا يا سيدي المفتش ؟

- لقد رأي الرجل الذي يرتدي هذه القبعة يتجول بالقرب من كوخ الـاب "ليسكو" في ليلتي الثلاثاء والأربعاء ، وقد خرجت في هاتين الليلتين .

- نعم ، فقد أصبت وخرجت للنزهة ، ولكني لم أذهب إلى تلك الجهة ، وإنما سرت في طريق "سان كلو" .
- هل رآك أحد ؟

- ربما . فلم انتبه إلى ذلك .

- ومتى عدت إلى المنزل في الليلة الماضية ؟

- في الساعة الحادية عشرة ، إذ تناولت العشاء في باريس ، وكانت زوجتي نائمة .

- ولكنها تقرر أنكما تبادلتما بعض كلمات .

- وهل تظنين ذلك يا "جبرييل" . إنني لا أذكر شيئا الآن .

- نعم . نعم . هلا تذكرين ما حدث . لست أرى محلا للخجل في القول بانك قبلتني . ولكن لماذا يكثر هذا السيد من أسئلته .

- إنه يؤدي واجبه يا "جبرييل" ، ومن واجبي أن أقدم إليه كل معونة ممكنة . أتود أن أذكر لك موعد رحيلي هذا الصباح يا سيدي المفتش ؟

لقد كانت الساعة حوالي السادسة .

- وهل سافرت في القطار ؟

- بلا شك .

- ولكنهم لم يروك في المحطة ؟

- ذلك أنني لم ألق القطار فمضيت إلى المحطة التالية سيراً على الأقدام حتى أقطع الوقت إلى حين موعد القطار التالي .

- هل يعرفك أحد في تلك المحطة ؟

- لا أظن ذلك .

وكانت إجابته سريعة حاسمة لا تردد فيها ولا اضطراب ولم يجد "فيكتور" ثغرة يتسرب منها الشك . فما لبث أن قال وهو يهم بالنهوض: هل لك أن تقابلني غدا في باريس يا سيدي البارون حتى نرى الأشخاص الذين تناولت معهم طعام العشاء بالأمس ، وأولئك الذين قابلتهم اليوم . وما كاد يفرغ من هذا السؤال حتى نهضت مدام "دوتري" واقفة وهي تمد يدها نحوه وقد توهجت عيناها وتصاعدت الدماء إلى وجهها ، فذكر "فيكتور" الكلمة التي أصابت وجهه المسيو "جيروم" المسكين وأوشك أن ينفجر مقهقها ، ولكن المرأة ما لبثت أن أرخت يدها وغادرت الحجرة وهي تنتفض غضبا .

ووقف الرجلان متقابلين وكل منهما يصعد الآخر بنظراته ، وعندئذ أدرك "فيكتور" لدهشته أن الرجل كان يضع على وجنتيه طبقة من الطلاء الأحمر ، كما تفعل النساء كي يخفي امتقاعه ولا ريب . وأن عينيه تحيط بهما هالتان سوداوان ، كما برزت الغضون على جانبي فمه .

وظل البارون صامتا برهة ثم قال في أسى :

- إنك تتبع طريقا خاطئا يا سيدي المفتش ، ومن سوء الحظ أنه يتغلغل في صميم حياتي الخاصة ويضطرنني إلى اعتراف يشق على

نفسي أن أبوح به إلى أي إنسان . فالواقع إنني رغم حبي لزوجتي واحترامي لها ، قد اتخذت لنفسني عشيقة في باريس منذ بضعة أشهر وهي التي تناولت العشاء معها بالأمس وأوصلتني بنفسها إلى محطة "سان لازار" . ثم قابلتها اليوم منذ الساعة السابعة صباحا . سوف احضر في الصباح لأخذك معي في السيارة حتى نذهب إليها معا . فتردد البارون لحظة . ثم هز رأسه قائلا :
- لا بأس .

وتركت هذه الحادثة اثرا عميقا من التردد في نفس "فيكتور" وجعلته يتأرجح بين الشك واليقين . ولكنه من قبيل الحيطة أمر أحد رجال الشرطة بأن يراقب مسكن البارون طول الليل .

الفصل الثالث

لم يحدث في خلال الليل ما يريب ، ولكن "فيكتور" لاحظ وهو يجلس بجوار البارون في السيارة وهما في طريقهما إلى باريس ، أن وجه الرجل كان شديد الامتقاع ، وأن عينيه الذابلتين تنمان عن ليلة مسهدة لم يذق للنوم طعما في خلالها وما كادا يصلان إلى باريس حتى سألته "فيكتور" : أين مسكن صديقتك ؟

- في شارع "فوجيرار" بالقرب من حديقة "لوكسمبورج"

- وما اسمها ؟

- "اليز ماسون" ، وكانت من راقصات "الفولي برجير" ثم فقدت مركزها على أثر مرض ألم بصدرها ، فاخذتني الشفقة بها ، وتوليت الإنفاق عليها .

- لا ريب أنها كلفتك كثيرا .

- لا ، ليس بالكثير . ولكنني غدوت قليل الاهتمام بأعمالي الآن .

- لدرجة أنك لا تدفع إيجار مسكنك ! . اليس كذلك ؟ .

فلم يحر البارون جوابا ، بينما راح "فيكتور" يفكر في تلك المرأة وتملكه فضول غريب . ترى هل هي غادة السينما وقاتلة الأب "ليسكو" ؟
وأخيرا وصلا إلى شارع "فوجيرار" فصعدا إلى مسكن صغير بالطابق الثالث من مبنى عتيق الطراز وما إن قرع البارون الباب حتى فتحت امرأة شابة بادية النحول أدرك "فيكتور" لأول وهلة أنها ليست ضالته المنشودة .

وهتفت بصديقتها :

- هذا أنت أخيرا ؟ . ولكن . من هذا ؟ هل هو أحد معارفك

- لا يا عزيزتي . فإن السيد من رجال البوليس وهو يقوم بالتحقيق

في قضية سندات الدفاع الوطني التي شاعت المصادقات التعسة أن
تقحمني فيها .

فقايدتهما الفتاة إلى حجرة صغيرة وافرة الإضاءة ، فاستطاع
"فيكتور" أن يتأملها وإذا بشحوب وجهها ينم عن سوء صحتها ،
وتحيط بعينيها الزرقاوين الواسعتين هالات داكنة ، وقد برزت
وجنتاها وتهدلت خصلات شعرها في غير عناية أو تنسيق ، كما
احاطت عنقها بمنديل كبير برتقالي اللون ذي خطوط خضر وسالها
"فيكتور" : هل رأيت البارون أمس الأول ، اي يوم الخميس؟ .

- الخميس . دعني افكر قليلا . أجل . لقد تناولنا الغداء والعشاء
معا ثم اوصلته إلى المحطة .
- وأمس ؟

- لقد كان هنا منذ الساعة السابعة صباحا حتى الرابعة بعد الظهر .
واستشف "فيكتور" من إجابتها أنها تلقي بعبارات حفظتها عن ظهر
قلب ، فاعرض عنها وراح يجيل نظراته في انحاء المسكن حتى
استقرت على مشجب في احد الأركان ، تتدلى منه الثياب . فسار نحوه
وما كاد يزيحها بيده حتى لاحت لعينه حقيبتان كبيرتان يدل
مظهرهما على انهما ممتلئتان ، وفي تلك اللحظة أدار رأسه بغتة فإذا
به يفاجئ نظرة ذات مغزى يتبادلها البارون وعشيقتة ، وعندئذ تحول
يفتح الحقيبتين فوجد بداخلهما أكادسا من الثياب ، للرجال والنساء
على السواء وأدوات الزينة ومعدات السفر .. فانتنى قائلا :

هل كنتما تزعمان الرحيل ؟

فدنا البارون منه وقد لاحت في عينيه نظرة تفيض حنقا وأجاب
بصوت متهدج : من الذي سمح لك بهذا التفتيش وبأي حق . هل لديك
إذن بذلك ؟

واشتم "فيكتور" رائحة الخطر إزاء هذا الرجل الذي تبدو في نظراته

الرغبة في القتل ، فدفس يده في جيبه وأمسك بمسدسه ، ثم واجهه قائلاً : لقد شوهدتما بالأمس بالقرب من محطة الشمال ومعكما هاتان الحقيبتان .

- هراء وإلا ما رايتنا هنا الآن . ولكن بماذا تتهمني : بسرقة الغلاف الأصفر ، أم ..

وتمهل قائلاً ثم استطرد وهو يركز على أسنانه : أم بقتل الأب 'ليسكو'؟

فصاحت 'إليزماسون' في دهشة حقيقية : ماذا .. هل يتهمك بالقتل؟
- لعمرى لست أرى ما يعنيه تماماً .. ولكنني لا أظنك جاداً في ريبك يا سيدي المفتش وقد سألت زوجتي بالأمس وأجابتك ..
وضحك البارون ضحكة مقتضبة كأنما رأى السلامة في المسألة، واستطرد :

- إن هاتين الحقيبتين يا سيدي المفتش ، موضوعتان في مكانهما هذا منذ عدة أسابيع إذ كنا نرجو أن نقوم برحلة إلى الجنوب للاستشفاء ، ولكن الظروف لم تساعدنا على تحقيق هذا الرجاء .
وكان 'فيكتور' قد استقر عزمه على أن يقود البارون إلى إدارة الشرطة حيث يتفق مع رؤسائه على إجراء تفتيش عاجل واسع النطاق، حتى إذا ما كانت سندات الدفاع الوطني لدى البارون أو عشيقته أمكن العثور عليها قبل أن تغفل مرة أخرى .
فقال للمرأة : سوف تنتظرينني هنا حتى أعود .

ثم أشار إلى الباب والتفت إلى البارون قائلاً : أما أنت يا سيدي فسوف تأتي معي .

وكان يتكلم في لهجة حاسمة لم يجد البارون إزاءها إلا أن يستسلم للأمر الواقع ، فمضى يهبط الدرج أمامه حتى استقر في المقعد الخلفي للسيارة .. وسار 'فيكتور' إلى الشرطي الذي ينظم حركة المرور بالقرب

من المنزل وعرفه بنفسه وطلب إليه أن يراقب السيارة والرجل الجالس فيها ريثما يتصل بإدارة الشرطة تليفونيا .. ثم ولج حانوتا للشراب في الطابق الأسفل من المنزل ، كان التليفون في حجرة خلفية منه ، واستطاع بعد فترة طويلة أن يتصل بالإدارة فعلم من محدثه أنهم يبحثون عنه لرغبة المدير في رؤيته ، فوعده بالحضور ثم طلب إليه أن يبعث إليه برجلين عند نهاية شارع "فوجيراز" وأن يتحرى في نفس الوقت من إدارة تحقيق الشخصية عما إذا كان لديها أية معلومات عن "إليزماسون" ، الراقصة السابقة في "الفولي برجير" .

وبعد خمس عشرة دقيقة جاء رجلا البوليس فامرهما "فيكتور" بمراقبة المنزل والحيلولة دون فرار "إليزماسون" - بعد أن وصفها لهما وصفا دقيقا .. ثم سحب البارون إلى إدارة الشرطة وعهد به إلى زملائه . وبعد ذلك مضى إلى لقاء المدير .

ولقيه مسيو "جوتيه" - وكان معه المفتش "موليون" أحد رؤساء "فيكتور" المباشرين - صاخبا إذ ظل يومين مختفيا عن الانتظار دون أن يتصل بالإدارة أو بأحد زملائه .. وبذلك كان شرطة "سان كلو" يمضون في أبحاثهم من ناحية ومفتشو إدارة الشرطة بباريس من ناحية أخرى . و"فيكتور" من ناحية ثالثة . دون أي صلة بينهم أو خطة موحدة للعمل على هداها .

قال "فيكتور" في هدوء : هل يرى سيدي المدير أن التحقيق في قضية سرقة السندات ومقتل الأب "ليسكو" لا يسير وفق هواه ؟
- وانت . هل أنت راض عنه ؟

- لا بأس .. ولكنني اعترف أنها لا تستحق اهتماما خاصا إذ إن الجناة فيها من مجرمي الدرجة الثالثة ، يتخبطون في الأخطاء السخيفة ، وليس أمامنا خصم قوي يؤبه له .

- إذن دعك منها .. فإن "موليون" ، رغم أنه لا يعرف "أرسين لوبين"

ولم يره قط ، فقد سبق له أن عمل في قضاياهم وعرف أساليبه .. وهو خير من ..

فاقترب "فيكتور" من المدير وعلى محياه مظاهر القلق ، وقاطعه قائلاً :
- ماذا تقول يا سيدي المدير ! . "أرسين لوبين" ! هل لديك أي دليل على اشتراكه في هذا الحادث ؟ .

- وأي دليل ! . ألا تعلم أنه كان في "ستراسبورج" ، وكاد يقع في قبضة رجالنا لولا أنه استطاع الإفلات في اللحظة الأخيرة ! وأن ذلك الغلاف الأصفر الذي أودع في البنك ولم يحرص المدير عليه جيداً فاتحت لـ "أوديجران" فرصة سرقة إنمّا كان قبل ذلك في خزانة الرجل الذي يملك هذه السندات التسعة ، وهو من أصحاب المصانع هناك ووجدت خزائنه محطمة في الليلة التالية لإيداع السندات في البنك ! . فمن ذا الذي حطمها ! إنه "أرسين لوبين" نفسه .. فقد عثرنا بعد ذلك على بقايا خطاب بخطه .

- بخط "أرسين لوبين" !

- نعم .. وهو موجه إلى امرأة لا ريب أنها عشيقته ويقول لها فيه :
"إنني على يقين من أن السندات التي أخفقت في الحصول عليها قد سرقتها مستخدم في البنك المركزي يدعى "الفونس أوديجران" .. فإذا وجدت في هذه المهمة تسليّة لك فأني أرجو أن تبحتني عن هذا الشخص في باريس لحين عودتي يوم الأحد القادم ، ولو أن هذه المسألة لا تهمني كثيراً بقدر الصفقة الأخرى التي تعرفينها . الصفقة التي ستحصلين منها على عشرة ملايين من الفرنكات فهي وحدها التي تستحق العناية .."

فغمغم "فيكتور" : والتوقيع ! .. ما هو التوقيع ! ؟ /

- التوقيع (الـ) . أما يوم الأحد الذي يشير إليه فهو اليوم الذي كنت فيه في سينما "بلتازار" حيث كان "أوديجران" وصيقته "أرنستين" ..

- لقد كانت هناك امرأة أخرى .. امرأة رائعة الحسن يا سيدي المدير
ولا ريب أنها كانت تراقب "أوديجران" .. وهي نفسها التي رايتها
تقفز من نافذة الأب "ليسكو" ..

وراح "فيكتور" يذرع الحجرة جيئة وذهابا وقد تزايد قلقه وانفعاله ،
على الرغم مما عرف به من الهدوء والرزانة وأخيرا وقف أمام المدير
قائلا :

- ما دام الأمر يتعلق بهذا اللعين فلن أتخلى عن القضية .

- هل تمقته إلى هذا الحد ؟

أنا .. إنني لم أره قط ، كما أنه لا يعرف شيئا عني ولكن ذلك لا يمنع
من أن بيننا حسابا يجب تصفيته . ولكن دعنا من ذلك الآن .

ثم قص عليهما ما قام به في اليومين الماضيين ومقابلته للبارون
وزوجته و"جبروم" و"إليزماسون" التي اتضح من البحث الذي أجراه في
إدارة تحقيق الشخصية أنها إنما فصلت من الغولي برجيبير للشك في
أنها مرتكبة بعض حوادث السرقات التي وقعت هناك .

وبعد صمت قصير سأل المدير المفتش "موليون" عن رايه فاجاب في
تحفظ :

- إنها نتيجة لا بأس بها وإن كانت تحتاج إلى تمحيص .. وأرجو
أن تسمح لي بأن أتولى استجواب البارون بنفسي
فقال "فيكتور" بهدوئه المعتاد :

- يمكنك أن تقوم باستجوابه بمفردك . أما أنا فسانتظرك في
السيارة .

ثم غادرهما بعد أن تواعدوا على اللقاء في المساء ثانية للنظر فيما
وصل إليه التحقيق .

وانتظر "فيكتور" في السيارة زهاء الساعة قبل أن يأتي "موليون"
ومعه البارون ، وقد لاح الغيظ في وجه المفتش وهو يقول : لا فائدة من

استجواب هذا الوغد ! ..

- هل نذهب لرؤية "إليزماسون" ؟

- إن رجالنا يراقبونها وسيفتشون مسكنها بعد قليل . ولكن هناك ما هو ادعى إلى الاهتمام والعجلة .

- ما هو ؟

- ما الذي كان يفعله السيد "جوستاف جيروم" وقت ارتكاب الجريمة ؟

- هذا هو السؤال الذي ما فتئت امراته تسأله إياه بدوري احب أن أطرحه على صديقه "فليكس ديفال" الذي كان معه في باريس .

فهز "فيكتور" كتفيه في غير اكتراث وما لبثت السيارة أن درجت بهما في طريق "جارسن" ومعهما البارون وأحد المفتشين . وهناك وجدا "فليكس ديفال" في مكتبه ، وهو عملاق عريض المنكبين ذو لحية منمقة، وما إن قدما نفسيهما إليه حتى صاح ضاحكا :

- ما الذي دهم صديقه "جيروم" ؟ إنني منذ الصباح اتلقى الأسئلة عن الساعة التي عاد فيها إلى منزله ليلة الخميس من زوجته ثم من الصحفيين ؟

- وبماذا أجبت ؟

- الحقيقة بالتأكيد . وهي أنه فارقني أمام منزلي في الساعة العاشرة والنصف .

- ولكن زوجته تزعم أنه لم يعد إلا قبيل الفجر .

- أعرف ذلك ، فهي لم تكف عن الصياح في وجهه منذ الأمس :

"ماذا كنت تفعل منذ الساعة العاشرة والنصف ؟ وأين كنت ؟" . حتى علم الناس جميعا أن جيروم لم يكن في بيته ساعة ارتكاب الجريمة . وغدا موضع الريبة . هل كان صديقك ثملا ؟

- الواقع أنه كان كذلك ، وقد أصر على أن أصحبه إلى المشرب الذي

في طرف الشارع إذ إنه لا تغلق أبوابه إلا في منتصف الليل ولكنني اعتذرت .

انصرف المفتشان من لدنه فذهبا إلى المشرب حيث علما أن المسيو "جوستاف جيروم" مر به حقا وتناول كأسا من الشراب بعد الساعة العاشرة والنصف بقليل ، وبذا كان من المحتم معرفة ما فعله المسيو "جيروم" بين تلك الساعة ومطلع الفجر ، فذهب "موليون" و"فيكتور" والبارون "دونري" إلى داره وتركاه تحت الحراسة ثم مضيا للقاء "جوستاف جيروم" ولكنهما لم يجداه أو زوجته في منزلهما . فعادا إلى المقهى المقابل للمحطة ليتناولوا شيئا من الطعام ، وإذا بأحد الشرطيين اللذين تركهما "فيكتور" في حراسة منزل "إليزماسون" يحضر على دراجة بخارية فهتف به "فيكتور" :

- ماذا حدث ؟

- لقد قتلت .. وجدت مخنوقة في فراشها .

- من ؟

- "إليزماسون" .

(*)

وكان "موليون" سريع الهياج فما كاد يشعر أنه أخطأ إذ أبى الإصغاء لرأي "فيكتور" بأن يبدأ تحرياته في شارع "فوجيرار" حتى تملكه غضب جارف لم ير من يصبه عليه سوى البارون "دونري" فصحب "فيكتور" وذهب إلى منزله .

وكان يذرع الحجرة أمام الزوجين في أنفعال شديد وهو يهدر :

- لقد قتلوها ، فلماذا لم تنذرنا بالخطر الذي كان يتهدد المسكينة ، وإذا كانت قد قتلت فمعنى ذلك أنك كنت تخفي السندات عندها وأن القتلة كانوا على علم بذلك . فمن هم ؟ ألا تستطيع الآن أن ترشدنا إلى شيء . تكلم نعم أو لا ؟ من الذي قتل عشيقتك ؟

وإذا كان المفتش "موليون" قد رجا من وراء هذه اللهجة الصاخبة أن يحدث أثرا في نفس البارون فقد خاب قاله إذ ظل الرجل مشدوها جاحظ العينين يحملق إلى المفتش كأنه لا يفهم ما يقوله ، ولكن الأثر الذي أحدثته هذه الكلمات بدا جليا في مدام "دونري" ، إذ نهضت من مقعدها بغتة ووقفت أمام زوجها صائحة " هل كانت لك عشيقة . أنت يا "مكسيم" . ويلاه ! - إذن فهذا سبب ذهابك كل يوم إلى باريس .

فغمغم البارون :

- سامحيني يا "جبريل" . فلست أدري كيف حدث ذلك إنها قد ماتت .

فرسمت المرأة علامة الصليب على صدرها بينما استطرد البارون :
- إن الأحداث التي تمر بي منذ يومين هائلة مروعة ولست أفهم شيئا منها . إنني فريسة كابوس مروع فلماذا يعذبونني هكذا ولماذا يريد هؤلاء السادة أن يقبضوا علي ؟

فانتفضت امراته وصاحت " يقبضون عليك . هل جننت . لماذا ؟
ثم التفتت إلى الرجلين تقول لهما في ضراعة :

- كلا . كلا . أقسم لكما إنه بريء . لقد كان معي ساعة مقتل الأب "ليسكو" . وقد قبلني ثم إنني . ثم إنني كنت أحيطه بذراعي . أجل . فكيف يمكن أن .. آواه . ! هذا محال

وعندئذ تهدج صوتها وما لبثت أن انخرطت في بكاء مرير . كما تدفقت الدموع من عيني "مكسيم دونري" بدوره .

فقال لهما "موليون" : حذار من مغادرة مسكنكما حتى صباح الغد . هل فهمتما . وسوف أترك بعض الرجال لحراسة الأبواب ، فلا تحاولا الفرار وإلا فلن تلوما إلا نفسيكما .

ثم جذب "فيكتور" من نراعه ، وبعد قليل كابأ في مسكن "إليزماسون" . وهذه هي الوقائع كما قيلت لـ "فيكتور" ، وكما لاحظها بنفسه :

في الساعة الواحدة وصل رجال البوليس المكلفون بالتفتيش وراحوا يقرعون الباب على غير جدوى . فلما اخبرهم الشرطيان اللذان تركهما "فيكتور" امام باب المنزل أن "اليزماسون" لم تغادر مسكنها اقتحموا بابها . فإذا بها طريحة فوق الفراش وقد تدلى رأسها منه وتقلصت يداها من اثر المقاومة ، كما لم يعثر على سلاح من أي نوع ، ولم يكن مظهر الحجرة يدل على أي اثر للنضال أو العنف ، وقد قرر الطبيب الشرعي أنها قتلت خنقا بشيء لين ، مثل منشفة أو منديل .

وعندئذ لاحظ "فيكتور" اختفاء المنديل البرتقالي ذي الخطوط الخضراء الذي كانت المجني عليها تحيط به عنقها ، فسأل الحاضرين عنه ولكن تبين أن احدا لم يره .

ومن الغريب أن الأدرج لم يعثب بها ، كما أن الحقيبتين ظلتا على حالهما لم تفتحا . فاستشف "فيكتور" من ذلك أن القاتل لم يحاول البحث عن السندات المسروقة . أو أنه كان يعلم من بادئ الأمر بأنها ليست موجودة في السكن .

ولم تستطع حارسة الباب أن تدلي بشيء يفيد التحقيق ، لكثرة سكان المنزل وتعدد الداخلين والخارجين في هذه الساعة من النهار ، ولكن احد القاطنين في الطابق الرابع شهد بأنه قابل على الدرج قبيل الظهر ، بين الطابقين الثاني والثالث امرأة تهبط في عجلة ، وكانت ترتدي ثيابا متواضعة وتحيط رأسها بنقاب رقيق كأنما تحاول أن تخفي شخصيتها .

وتبين من الفحص الطبي أن الموت حدث قبيل الظهر .. كما تبين أنه لا توجد أية آثار لبصمات الأصابع ، مما يدل على أن الجاني كان يرتدي قفازات في يديه

وظل "فيكتور" قابعا في أحد الأركان يرقب ما يدور حوله بعينين ملؤهما اليقظة والانتباه . فرأى أحد رجال الشرطة في أثناء التفتيش

يمسك بإحدى علب السجاير القديمة الفارغة ويفرغ محتوياتها ،
وكانت عبارة عن صورة فوتوغرافية قديمة العهد ، مما يلتقطه الهواة ،
وتمثل "إليزماسون" بين زميلاتهن راقصات "الفولي برجوير" أو مع
فتيان من أصدقائها .

وأخذ "فيكتور" اللعبة وراح يفحصها مليا ، وإذ به يجد قاعها مغطى
بورقة ما كاد يرفعها حتى عثر على صورة أخرى ، ولكنها لم تكن تمثل
"إليزماسون" .

فقد كانت صورة غادة سينما "بلتازار" الشقراء .

وعندئذ وضع اللعبة بمحتوياتها في جيبه . دون أن يقول شيئا .

* * *

الفصل الرابع

وفي تلك الليلة عقد في مكتب قاضي التحقيق اجتماع حضره مدير الأمن العام بنفسه كما حضره مدير البوليس والمفتش "موليون" و"فيكتور" ، فإن قضية سندات الدفاع الوطني التي انتهت مرتين إلى جريمة قتل ، قد أثارت الرأي العام ، وجعلت الصحف تنادي في لهجة شديدة بوجوب العمل سريعا على الاهتداء إلى الجناة ، وبين ذلك كله كان "أرسين لوبين" ينبعث وسط الغموض الذي يحيط بالقضية ، دون أن يبدد هذا الغموض أو يلقي ضوءا على الجرائم التي ارتكبت ، وهو الرجل الذي اشتهر بأنه ما سفك دما قط .

ولكن كيف يأتى لرجال البوليس أن يبددوا هذه الظلمات التي تزداد يوما بعد يوم ؟ وما الذي يستطيعونه أمام هذه الأدلة المتعارضة التي يناقض بعضها بعضا ؟

فلم يثبت بطريقة قاطعة أن ثمة علاقة بين سرقة السندات ومقتل الأب "ليسكو" ، وإذا كان "الفونس أوديجران" وصديقه "أرنستين" قد اعترفا بدورهما في هذه القضية إلا أن مدام "شاسان" أصرت على الإنكار والاحتجاج الشديد ولم يستطع أحد أن يقيم دليلا واحدا على أن الغلاف الأصفر قد انتقل إلى الأب "ليسكو" عن طريقها . ومن ثم كانت الشبهات التي تحيط بالبارون "دونري" رغم قوة أسبابها ، لا تكفي لإثبات الباعث له على هذه الجريمة .

وأراد المفتش "موليون" أن يدفع "فيكتور" إلى الكلام ، بحجة أنه هو الذي بدأ يوم الأحد في سينما "بلتازار" لينتهي اليوم أمام جثة "إليزماسون" ، فهو وحده الذي يستطيع أن يكون رأيا عن الصلة التي تربط بين الحوادث التي تخللت ذلك .

ولكن "فيكتور" لم يقل شيئا . واكتفى بهز كتفيه في غير اكرات ،
وبذلك انفض الاجتماع على غير نتيجة حاسمة .

وفي اليوم التالي دعا "فيكتور" إليه شرطيا سابقا يدعى "لارمونا" كان
ساعده الايمن قبل أن يحال إلى المعاش - وظل يتردد على إدارة
البوليس بعد ذلك فيعهد إليه المفتشون بمساعدتهم في أبحاثهم -
فطلب إليه أن يتحرى عن حياة "إليزماسون" وعلاقاتها السابقة ثم
ذهب إلى "جارسن" ليشترك مع قاضي التحقيق في تمثيل جريمة مقتل
الاب "ليسكو" .

واستحضر البارون وزوجته ، وإذ بالمرأة تبدو وقد تورمت إحدى
عينيهما وامتلا وجهها بالكدمات والرضوض ، فلما سألها "فيكتور" عما
دهاها لم تحر جوابا . ولكن خادماتها العجوز صاحت في حق:
- إنه هو الذي فعل بها ذلك أيها المفتش .

فقد انقض عليها هذا الصباح فجأة وانهال فوقها ضربا ولكما حتى
كادت تهلك بين يديه لولا أن أسرع إلى تخليصها من برائنه .
وكان البارون بادي الهدوء كرجل لا يثقل ضميره شيء . كما أن
زوجته كانت ترمقه بنظرات العطف ، رغم ما فعله بها ، وفسرت ذلك
بأنه إنما فقد صوابه بغتة بسبب الأهوال التي رآها في بضعة الأيام
الآخيرة

وسألها "فيكتور" :

- هل لا تزال مصرة على أنه عاد إلى المنزل في الساعة الحادية
عشرة؟

- أجل .

- حسنا .. ولكن هل أنت على يقين من أنه لم يتسلل من جانبك بعد
ذلك؟

- كلا .. لقد ظل معي طول الليل ؟

- وعلى أي شيء تبني اقتناعك هذا ؟

- لقد كنت أحيطه بذراعي ، ولو تحرك لاستيقظت .. ثم إنه ..

- وماذا ؟

- لقد استيقظت بعد ساعة واحدة وقلت له :

"أتذكر أن اليوم هو موعد زواجنا ؟ وعندئذ .. قبلني مرة أخرى و .."
وغضت المرأة من طرفها وقد تورد وجهها حياء حتى جهد قاضي التحقيق في إخفاء ابتسامته .. ولكن ألا يحتمل أن تكون ممثلة بارعة ؟
ولم ينته التحقيق إلى نتيجة وكاد "فيكتور" ينصرف لولا أن رأى المفتش "موليون" يقدم فجأة بسيارة من باريس ، ويختلي بالمحققين ليقول لهم في انفعال :

- لقد جدت ثلاثة أشياء بالغة الأهمية .

أولها أنه عثر هذا الصباح على السلم المعدني الذي استعمله الجناة، ملقى في حديقة منزل مهجور في الطريق المؤدي إلى باريس ،
ويبدو أنهم القوا به في أثناء فرارهم . وقد استطعت معرفة اسم بائعه وتبين أن الذي ابتاعه منه امرأة توافق أوصافها المرأة التي شوهدت تهبط الدرج في منزل "إليزماسون" .

والثاني أن أحد سائقي سيارات الأجرة تقدم إلى إدارة البوليس وذكر أنه في الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة ، أي غداة مصرع الأب "ليسكو" ، كان يقف بالقرب من "اللوكسمبورج" عندما تقدم إليه رجل وامرأة يحمل كل منهما حقيبة في يده وطلبا إليه أن يحملهما إلى محطة الشمال .. ولما كانا متقدمين عن موعد القطار فقد ظلّا في السيارة بجوار المحطة زهاء الساعة ، ثم ابتاعا إحدى الصحف المسائية ، وبعد ذلك غادر الرجل السيارة وعادت المرأة ومعها الحقيقتان إلى "اللوكسمبورج" بالقرب من شارع "فوجيرار" .. وأما أوصافهما فهي بعينها أوصاف البارون "دونري" وعشيقة .. ومعنى

ذلك أن البارون عدل في اللحظة الأخيرة لأمر لا ندري كنهه بعد ، عن الفرار وأعاد عشيقته إلى منزلها ثم استقل سيارة أخرى سوف نعثر عليها يوما ما ، وذهب إلى محطة "سان لازار" ليعود إلى "جارسن" بقطار الساعة السادسة .

وأما الثالث فهو أن شخصا مجهولا اتصل بنا تليفونيا وقال إننا لو مضينا في التحقيق إلى مدهاء لعلمنا ما الذي فعله المسيو "جيروم" بعد أن انصرف من المشرب في الساعة الحادية عشرة إلا قليلا ليلة الجريمة .. وإننا نعثر على ما يفيد التحقيق إذا فتشنا ادراج مكتبه الخاص .

* * *

واسرع "موليون" و"فيكتور" إلى مكتب مسيو "جيروم" عضو المجلس المحلي . فقابلهما في عاصفة من الهياج وهو يحتج على هذه المهزلة التي تضر بسمعته وعمله ، ولكن "موليون" طلب إليه في هدوء أن يفتح ادراج مكتبه ، وإذا بداخل أحدها كيس من القماش به مسحوق أبيض ، صاح "موليون" لدى رؤيته : من أين لك هذا إنه مسحوق الاستركنين ، وقد قتل كلب الأب "ليسكو" بهذا السم ؟

- وما شأني بذلك ؟ . إنني ابتاعه خصيصا لقتل الحشرات في ضيعتي ، ولست الوحيد الذي استطاع الحصول عليه .

واستمر "موليون" في التفتيش وإذا به يجد في درج آخر مسدسا أوتوماتيكيا من عيار سبعة مليمترات تنقصه رصاصتان ويبدو أنه قريب العهد بالإطلاق .

وظل "جيروم" مبهورا لحظة ثم قال : إن ذلك كله لا يعني شيئا يا سيدي المفتش ولو شئت لاستطعت أن تجد عشرين دليلا من هذا القبيل ضدي ، ولكنني لو كنت قاتلا حقا لما وجدت هذه الأشياء في مكتبي . إذ إنني لست من البلاهة بحيث احتفظ بها . وثمة شيء آخر

هو ان البستاني الذي يعمل عندي يقيم على بعد خطوات من "الجراج"
قد أكد لك اليوم أنني عدت في تلك الليلة حوالي الساعة الحادية عشرة.
فلما سئل البستاني في ذلك ذكر أن سيده إنما عاد حوالي الواحدة
والنصف فانفجر "جيروم" بسبه ويدفعه بكلتا يديه ثم استدار إلى
المفتش قائلاً :

- إنني لن أقول شيئاً آخر .. فاصنع ما يحلو لك .

* * *

وفي تلك الليلة القى "موليون" القبض على البارون "دونري"
و"جوستاف جيروم" واقتيدا إلى السجن وفي تلك الليلة أيضاً سأل
مدير البوليس "فيكتور" عن رأيه في هذا التقدم الباهر فاجابه بأنه يراه
اسرع مما ينبغي ولكن المفتش "موليون" أقدم على ما فعل رغبة منه في
إرضاء الرأي العام .

ثم استطرد : ولكن لي رجاء عندك يا سيدي أن تعدني بأن تبلغني
فور الانتهاء إلى السيارة التي استقلها البارون "دونري" من محطة
الشمال إلى محطة "سان لازار" .

- وما الذي ترجوه من وراء ذلك ؟

- العثور على المستندات المسروقة . وإلى أن يتم ذلك فسوف أصرف
اهتمامي إلى "أرسين لوبين" فإن جميع هذه الأحداث الغامضة لن تظهر
على حقيقتها إلا إذا تبين الدور الذي لعبه "أرسين لوبين" فيها .

* * *

والواقع أن الرأي العام رضي عن هذه النتيجة وأعلنت الصحف
قراءها بأن البوليس سوف يهتدي إلى الحلقة المفقودة وهي المرأة التي
كانت واسطة الاتصال بين "أرسين لوبين" مدبر هذه الحوادث وبين
البارون "دونري" و"جوستاف جيروم" شريكه في تنفيذها
أما المفتش "فيكتور" فكان يقول لنفسه : إنني لا يهمني إلا الوصول

إلى هذا الوغد ، "أرسين لوبين" ، ولن يتسنى لي أن أصل إليه إلا عن طريق عشيقته ، بعد أن نتحقق من أن غادة سينما "بلتازار" ، وقاتلة الأب "ليسكو" ، والمرأة التي ابتاعت السلم المعدني ، وتلك التي شوهدت على درج منزل "إليزماسون" ، لسن إلا امرأة واحدة .

ومضى فاطلع صاحب الحانوت الذي ابتاع السلم منه وكذلك الرجل الذي يقطن بمنزل "إليزماسون" ، على الصورة التي لديه ، فاجابا بأنها هي بعينها .

وفي نفس اليوم تلقى خطابا عاجلا من مساعده "لارمونا" يقول فيه :
"إنني وراء أثر طيب .. وقد سافرت إلى "شارتر" لحضور جنازة "إليزماسون" . فإلى اللقاء الليلة "

* * *

وفي المساء حضر "لارمونا" إلى منزله ومعه إحدى صديقات "إليزماسون" وهي وحدها التي دفعها الوفاء إلى مرافقة صديقتها إلى مرقدتها الأخير ، فطلب إليها "فيكتور" أن تفحص الصور ، وما كادت ترى الصورة الأخيرة حتى قالت :

- أه ! لقد رأيت هذه السيدة ، هي شديدة الشحوب وذات عينين لا ينسأهما المرء أبدا ، فقد كنت على موعد مع "إليز" بالقرب من دار الأوبرا ورأيتها تهبط من سيارة فاخرة كانت هذه السيدة هي التي تقودها .

- ألم تحدثك "إليز" عنها ؟

- نعم لم تحدثني .. ولكنني رأيتها ذات يوم تضع خطابا في صندوق البريد . وكان معنونا إلى الأميرة . ويلي ذلك اسم روسي نسيته ، ثم اسم فندق بميدان "الكونكوردي" ، واعتقد أنها نفس السيدة . ومتى كان ذلك ؟

- منذ ثلاثة أسابيع ، ولم ألق "إليز" بعدها فقد كانت علاقتها

بالبارون 'دوئري' تشغل كل وقتها ، ثم إنها كانت مريضة ولا تفكر إلا في الذهاب إلى الجبال للاستشفاء .

* * *

وفي نفس الليلة علم 'فيكتور' أن امرأة تدعى الاميرة 'الكسندرا بازيليف' كانت تقيم في فندق كبير في ميدان 'الكونكورد' ثم انتقلت منه إلى فندق 'كلاريدج' بالشانزليزيه .

أما هذه الاميرة فقد عرف 'لارمونا' من تحرياته في اليوم التالي أنها سليله أسرة روسية قديمة شهيرة تحمل هذا الاسم وقتل أبوها وإخوتها ، بأمر البوليس السري الروسي ، أما هي فقد تركت بين الحياة والموت ولكنها استطاعت النجاة واجتياز الحدود خلسة . ولما كان لأسرتها أموال كثيرة في أوروبا ، فقد استطاعت أن تعيش في بذخ وفق هواها . وهي في الثلاثين من العمر لا تغادر الفندق إلا نادرا ، وتتناول الشاي والعشاء في قاعة المائدة الكبرى ، ولا تكلم أحدا ولا تتصل بأحد من النزلاء .

* * *

وفي الغد ذهب 'فيكتور' إلى الفندق ومعه صديقة 'إليزماسون' لتناول الشاي ، وانتحيا ركنا قصيا من القاعة الكبرى التي كانت تغص بالوافدين وما هي إلا لحظة حتى بدت الاميرة 'بازيليف' بوجهها الشاحب وشعرها الذهبي فعرفها 'فيكتور' ورفيقته للتو ، إذ كانت هي التي رآها كل منهما من قبل .

* * *

وبعد يومين وصل إلى فندق 'كلاريدج' نزيل جديد اسمه في سجل الفندق : 'ماركوس أفيسستو' - اثنان وستون عاما من بيرو . فاعطى حجرة في الطابق الثالث وهو الذي تقيم فيه الاميرة 'بازيليف' بالقرب من حجرتها .

وما كان لأحد أن يتبين أن السيد الأشيب البادي الوقار الذي يبعث
مظهره وهندامه الأنيق على الاحترام ، ليس سوى "فيكتور" المفتش
الأول ببوليس الآداب .

الفصل الخامس

وكان من الميسور لرجل مثل 'ماركوس افيستو' ، ليس فيه ما يلفت الانتظار بوجه خاص بين ذلك السيل المتدفق من الناس في هذا الفندق ذي الخمسمائة حجرة أن يرقب الأميرة 'الكسندرا بازيليف' دون أن يسترعي انتباهها ، وهي التي تبدو دائما شاردة اللب ، تائهة النظرات . ومضت الأيام الأربعة الأولى دون أن تغادر الفندق أو تتلقى زوارا أو رسائل ، فإذا كانت قد استطاعت الاتصال بالخارج في تلك الفترة فلا ريب أن ذلك كان عن طريق التليفون الموضوع في حجرتها ، كما يفعل 'فيكتور' مع مساعده 'لارمونا' .

وكان ساعة العشاء يختلس النظر إليها فيستخفه الإعجاب بفنتتها، ويزداد حنقه أن تكون مثل هذه المخلوقة الرائعة الحسن فريسة لذلك المغامر الافاق 'أرسين لوبين' . بل إنه كان يزداد عجبا أن تكون شريكة في سرقة السندات ومقتل الأب 'ليسكو' و'إليزماسون' ، فإن المرء لا يسرق ولا يقتل في سبيل بضعة آلاف من الفرنكات متى كان وافر الثراء ذا يدين بضتين تتألق في أصابعهما اللآلئ والماسات .

وفي مساء اليوم الرابع رتب الأمر بحيث كان جالسا في ركن من المصعد الذي ارتقته الأميرة بعد العشاء وهي تعود إلى حجرتها ، فنهض لها وانحنى في احترام دون أن يتبادلا الحديث . كما حدث ذلك في اليومين التاليين دون أن يبدو الأمر أكثر من مصادفة عادية . وكان يظل جالسا في مقعده وفي ركن المصعد بينما تقف الأميرة دائما وظهرها إلى ناحيته .

* * *

وفي اليوم السابع خرجت الأميرة من المصعد عند الطابق الثالث

ودارت إلى اليمين في طريقها إلى حجرتها ، يتبعها "ماركوس" على قيد خطوات قليلة ، إذ كانت حجرته في نفس الاتجاه .. ولكنها ما كادت تمضي قليلا في الممر المقفر حتى وقفت فجأة ووضعت يدها على مؤخرة رأسها ، وما إن اقترب "ماركوس" منها حتى أمسكت بذراعه وقالت في صوت متهدج :

- سيدي . لقد سرق أحدهما مشبكي المرصع بالزمرد وكنت أضعه في مؤخرة رأسي . ولا ريب أن ذلك قد حدث في المصعد .

فاعتدل "ماركوس" وقال : شد ما أنا أسف يا سيدتي ! وتقابلت نظراتهما بضع ثوان ، وما لبثت الأميرة أن أرخت عينها وهي تقول :

- لا ريب أنه سقط مني هناك ، وسوف أعود للبحث عنه .

ولكنه أمسك بذراعها بدوره وقال : معذرة يا سيدتي .. هل شعرت بيد تلمس شعرك ؟

- نعم .. ولكني لم أعر الأمر أهمية في تلك اللحظة .
- إذن .. فلا ريب أنني السارق .. لأن عامل المصعد كان يقف أمامك .
فلم تجب الأميرة وراحا يتبادلان النظر من جديد وما لبثت أن غمغت :

- لابد أنني مخطئة يا سيدي ، فمن المحتمل أن أكون قد نسيت المشبك في حجرتي ، وسوف أجده فوق منضدة الزينة .
- إذا افترقنا يا سيدتي فسوف تفقد الفرصة من يدك وتظل الشكوك تتراوحك من ناحيتي .. فالأفضل أن نعود معا إلى مدير الفندق فتقدمي له شكواك .. ولو كانت ضدي .

ففكرت قليلا ثم قالت : لا يا سيدي .. لا فائدة من ذلك .. ولكن هل تقيم في الفندق ؟

- في الحجرة رقم ٣٤٠ . مسيو "ماركوس أفيستو" .
فابتعدت المرأة وهي تردد هذا الاسم ، بينما مضى "فيكتور" إلى

حجرته حيث كان "لارمونا" في انتظاره فاخبره بنجاح خطته وان المرأة استسلمت للأمر الواقع ولم تجرؤ على شكواه .

ثم أخرج المشبك من جيبه ووضعه على الخوان واستطرد :
- سوف أعيده إليها بعد ان اثق بان الاثر الذي قصده قد ملك عليها
فكرها .

وفي تلك اللحظة رن جرس التليفون فتناول "فيكتور" المسماع
وأجاب:

- نعم يا سيدتي ، إنني هو .. المشبك ؟ .. وجدته في حجرتك ؟
حسنا .. إنني سعيد جدا بهذه النتيجة شكرا يا سيدتي .

ثم تحول إلى "لارمونا" قائلا : إنها تزعم أنها وجدت المشبك الذي
معي الآن .. ومعنى ذلك أنها لم تجرؤ على الشكوى خوفا من
الفضيحة، مع أنها واثقة بان المشبك قد سرق منها : وإنني ذلك
السارق وهذا هو ما قصده يا صديقي .. فقد أردت أن اثير فضولها
واشيع الثقة في نفسها من ناحيتي ، وبذلك أستطيع أن أصل إلى
عشيقها ، "أرسين لوبين" . يا لها من فكرة موفقة ! . سوف اتقرب إلى
"لوبين" ، وأغدو شريكا له في مغامراته ، بل ساعده الأيمن ، حتى إذا
ما أتى اليوم الذي يضع فيه يده على الملايين العشرة كنت موجودا
معه .. وعندئذ أستطيع أنا .. أنا "فيكتور" المفتش ببوليس الآداب أن
أبطش به وأريه ألوان العذاب والنكال ، ولا تنس أنني كلما امعنت
النظر إلى هذه المرأة ازداد حنقي على ذلك الوغد .

ولم تغادر الأميرة حجرتها إلا في اليوم الثالث بعد هذا الحادث.
فاتخذ "فيكتور" لنفسه مكانا بالقرب من المائدة التي اعتادت الجلوس
إليها ساعة العشاء ، متظاهرا بأنه لم يرها ، ولكنه كان واثقا بأنها لا
تفتأ تحتلس النظر إليه بين الفينة والفينة . فلما انتهى العشاء أخذ
يبخنان في صمت فراح "فيكتور" يتفرس في الحضور بحثا عن رجل

تنطبق عليه الأوصاف الشائعة عن "أرسين لوبين" غير أنه لم يجد بينهم من يمكن أن يكون ضالته المنشودة ، كما أن الأميرة كانت تبدو غريبة عن الحاضرين جميعا .

وبعد يومين آخرين وقع في الفندق حادث لم يشترك فيه "فيكتور" بالتأكيد ، ولكنه كان خير عون له في تنفيذ خطته . فقد سرق من إحدى النزيلات في الطابق الأول ، وهي سيدة أمريكية ، صندوق متوسط الحجم مليء بالحلي والأحجار الكريمة . ونشرت الصحف هذا الخبر وأضافت بأن الظروف التي تمت بها السرقة تنم عن أن السارق شخص طويل الباع في مثل هذه الأمور ، وعلى جانب كبير من البرود ورباطة الجاش .

قرات الأميرة هذه الصحيفة وهي تتناول العشاء فأتجهت نظراتها في حركة غريزية إلى "فيكتور" كأنها تريد أن تقول هذا هو السارق فحنى لها رأسه قليلا ، وأسرع بتحويل نظراته عنها قبل أن ترد وهو يقول في نفسه :

- ها هي ذي الآن تعدني من لصوص الطبقة الأولى . ولعلها شديدة الإعجاب بجراتي ورباطة جاشي إذ اظل في الفندق دون أن أحاول الفرار .

وكان لابد من التقارب بينهما . فعني "فيكتور" بأن يجلس بعد العشاء على الأريكة التي اعتادت أن تجلس بجوارها .

- فلما أتت . لبثت مترددة لحظة ثم اتخذت مقعدها إلى جانبه وظلت صامئة برهة حتى أشعلت لفافتها ثم رفعت يدها إلى مؤخر رأسها بغتة وانتزعت مشبكا من الزمرد وهي تقول :

- هانتذا ترى يا سيدي أنني قد وجدته .

فوضع "فيكتور" يده في جيبه وأخرج المشبك الآخر قائلا :

- عجباً .. لقد وجدته بدوري !

فصعقت المرأة لهذه المفاجأة التي لم تكن تتوقعها وظلت برهة لا تحير جوابا ، فاستطرد "فيكتور" :

- من حسن الحظ يا سيدتي أن يظل المشبكان في حوزتك .

فاخلدت إلى الصمت لحظة قبل أن تقول :

- لا ريب أنني أبدو في نظرك امرأة غريبة الأطوار .. تبعث على السخرية ..

- لا شيء من ذلك يا سيدتي ، فلست أرى فيك إلا أميرة روسية ثرية بالغة الطيبة .

- لقد لقيت كثيرا من ظروف الزمن .. وكنت في صباي سعيدة هائلة ناعمة البال لا أهتم إلا بما يبعث السرور إلى نفسي .

ولكن القدر قلب لي ظهر المجن فذبح أبواي أمام ناظري ، ونكل بإخوتي وخطيبي .

وأخيرا استطعت الإفلات من هذه المحنة ، ولكنني غدت محطمة القلب لا أعرف للهدوء والطمأنينة معنى حتى لقد اعتدت الشعور بالقلق والانفعالات النفسية .

- بمعنى أنك مضيت تبحثين عن المزيد من هذه الانفعالات .. فإذا ما اعترض طريقك رجل ممن لا يقيمون وزنا للتقاليد والأوضاع ، أثار فضولك ورحت تتقربين إليه وتشاطرينه مغامراته كي تلمسي بنفسك ما يحسه من قلق وهو يمارس عمله في تلك اللحظات المحفوفة بالخطر، المليئة بالمخاوف ولكن .. أه ! .. يحسن أن تبتردي عني قليلا .
- لماذا ؟ ما الذي حدث ؟

- أترين هذا الرجل البدين الذي يدعو منظره إلى الضحك وهو في ثياب السهرة ؟ إنه أحد رجال الشرطة فهو المفتش "موليون" الذي يحقق في حادث سرقة صندوق الحلبي من الفندق .

فاتكات بيدها على المنضدة وهي تبترد قليلا عن "فيكتور" ولكنها

كانت تنظر إليه لترى الأثر الذي أحدثه اقتراب الخطر في نفسه ، وما لبثت أن همست :

- ألا تذهب ؟

- ولماذا ؟ . إنك لا تعرفين هؤلاء السادة على حقيقتهم فـ"موليون" أشدهم حمقا وغباء .. وليس فيهم إلا رجل واحد هو الذي يشيع الذعر في قلبي .

- من هو ؟

- إنه يدعى المفتش "فيكتور" من بوليس الآداب .

- لقد قرأت عنه في الصحف .

- نعم فهو الذي يشترك مع "موليون" في قضية سندات الدفاع ومقتل الأب "ليسكو" . وتلك التهمة "إلزماسون" التي اغتيلت غدا .

- ألا تصفه لي ؟

- إنه أقصر مني قليلا ، ومنظره يثير الرغبة في الضحك وخصوصا عويناته الضيقة التي من طراز القرن الماضي . ولكن له عينا ! . ويا لها من عين نفاذة لا تخطئ الهدف . أما "موليون" فعلى العكس منه . انظري . إنه يتطلع إلى ناحيتنا .

* * *

وكان "موليون" يجيل عينيه في الحاضرين .. فاستقرتا لحظة عند "فيكتور" ولكنهما لم تلبثا أن انتقلتا إلى غيرهما ، وكان ذلك ختام تفتيشه .

* * *

وعندئذ تنهدت "الكسندرا بازيلييف" كأنما أزيح عن كاهلها عبء ثقیل بينما قال "فيكتور" :

- أرايت أنه يظن الآن أنه قد أدى واجبه وأن أحدا لم يفلت من نظراته النافذة ولكن لعله لا يبحث عن سارق صندوق الحلي وإنما

يبحث عن قتلة كوخ "جارسن" وشارع "فوجيران". فهو لا يفكر إلا في هذه القضية وكذلك رجال البوليس جميعا .

فجرت الأميرة كاسا من الشراب واشعلت لفافة جديدة بيد مرتعدة.. وما لبثت أن استعادت هدوءها ونهضت تهتم بالانصراف إلى حجرتها. وعندئذ خيل إلى "فيكتور" أنها تبادلت نظرة خاطفة مع رجلين يجلسان عن بعد منهما . وكان أحدهما ذا وجه مشرب بالحمرة يبدو عليه أنه إنجليزي وسبق أن راه "فيكتور" في الفندق مرارا أما الآخر فلم يره قط من قبل ، وكانت تنطبق عليه جميع الأوصاف التي يعرفها عن "ارسين لوبين" .. كما كان يضحك مع رفيقه في مبرح وقد انبسطت أساريره ، وبدت في وجهه الوسيم دلائل العزم والصلابة .

ابتعدت الأميرة بعد أن نظرت إلى الرجلين مرة أخرى . وبعد قليل قاما بدورهما فتناول الثاني قبعته وعصاه وغادر الفندق بينما اتجه الإنجليزي إلى المصعد .

فلما هبط المصعد ثانية ارتقاه "فيكتور" ثم سال الخادم :

- من هذا السيد الذي صعد الآن ؟ أهو إنجليزي ؟

- إنه يدعى مستر "بيميش" ويقيم في الحجرة رقم ٣٣٧ .

- اقيم هنا منذ مدة طويلة ؟

- منذ أسبوعين .

وهكذا تبين "فيكتور" أن هذا الإنجليزي يقيم في الفندق منذ أن حلت به الأميرة "بازيلييف" . وفي نفس الطابق . فابقن للتو أن زميله ليس إلا "ارسين لوبين" . عشيق الأميرة الفاتنة .. وخصمه اللدود .

وفي اليوم التالي دعا إليه "لارمونا" ، وساله عما كان "موليون" يفعله في الفندق بالأمس فعلم أنه كان يبحث عن السارق وهو أحد النزلاء بلا ريب ولكن له شريكا آخر خارج الفندق . كما علم أن "موليون" ينوي أن يهاجم مشربا تجتمع فيه عصابة "ارسين لوبين"، حيث يدبرون الخطط

للاستيلاء على الملايين العشرة التي ذكرها في خطابه ، وسوف يعرف
"موليون" عنوان هذا المشرب اليوم .

فأخبره "فيكتور" بما حدث في الفندق وطلب إليه أن يراقب
الإنجليزي عند خروجه وفي انتظار ذلك عليه أن يفتش حجرته للتو.
فحاول "لارمونا" أن يعترض لما في ذلك من خرق للقانون وأنه يجب
الحصول على إذن بالتفتيش فصاح به "فيكتور" حانقا :

- هراء ! . فإن "لويين" ليس من طراز البارون "دونري" أو "جيروم" ،
ولست أحب أن اشرك إدارة البوليس في هذا الموضوع فانا وحدي
الذي يجب أن يهتم به . وسوف أقبض عليه بيدي هذه واسلمه
للعادلة . فذلك لا يخص أحدا سواي .. وهي قضيتي دون غيري ..

وبعد نصف الساعة عاد إليه "لارمونا" وأخبره بأنه وجد شيئا ذا
قيمة كبيرة فقد عثر على المندبل البرتغالي ذي الخطوط الخضراء الذي
كانت "إليز ماسون" تضعه حول عنقها ، بين أكداش من الثياب في
حجرة الإنجليزي .. فهل ثمة دليل أبلغ من هذا على أن المرأة التي
رؤيت تهبط الدرج في منزل القتيلة ليست سوى الأميرة "بازيلييف" ! .

* * *

وفي المساء قرأ "فيكتور" في الصحف هذا النبا .

"علمنا عند مثول الجريدة للطبع أن المفتش "موليون" وثلاثة من
رجاله قد هاجموا مشربا في شارع "ماربيف" بعد ظهر اليوم حيث
اتصل بعلمه أن عصابة من اللصوص الدوليين ، بينهم بعض الإنجليز
تعقد فيه اجتماعاتها وقد استطاع البوليس أن يقبض على ثلاثة منهم
بينما فر الاثنان الآخران وأحدهما مصاب بجرح خطير .. وتدل المظاهر
على أن "أرسين لويين" كان أحد هذين الرجلين !!"

وكانت الأميرة تمسك بالصحيفة في يدها ساعة العشاء فراها
"فيكتور" تمتنع فجأة حتى يحاكي وجهها شحوب الأموات فخال أنها

توشك أن يغشى عليها .. ولكنها تماسكت وراحت تجيل بصرها حولها حتى استقر على الإنجليزي "بيميش" وكان جالسا بمفرده .. فتسائل "فيكتور":

- ترى هل كان "بيميش" أحد الهاربين من البوليس اليوم وهل ينوي أن يبلغها شيئا عن "أرسين لوبين"؟

وعندئذ سبقهما إلى حجرته فكن خلف بابها الموارب .. وما لبث أن رأى الأميرة تمضي إلى حجرتها فتقف في بابها وعلى محياها علامات القلق ، وإذا بالإنجليزي يلحق بها فيتحدث إليها قليلا : فانبسطت أساريرها وعلت الابتسامة شفيتها .. وابتعد الإنجليزي عنها فدخلت الحجرة وأغلقت الباب خلفها .. وعندئذ أيقن "فيكتور" أن عشيقها "أرسين لوبين" اللعين ، قد استطاع الإفلات بجلده .

* * *

ولم يعترف المقبوض عليهم الثلاثة ، وكانوا من الروسيين إلا بأنهم اشتركوا في بعض السرقات في الخارج ولكنهم نفوا بتاتا كل علم بزعماء العصابة الذين يستخدمونهم .. أما زميلاهم الهاربان فكان أحدهما إنجليزيا والآخر يحضر اجتماعهم للمرة الأولى ولم يتكلم في خلاله قط .. وهو الذي جرح ، وكانت صفاته تنطبق على الرجل الذي رآه "فيكتور" جالسا مع الإنجليزي في ردهة الفندق .

* * *

وفي اليوم التالي ذكرت الصحف شيئا يلقي بعض الضوء على الحوادث السابقة فقد تبين أن أحد الروسيين الثلاثة كان عشيقا لـ "إليز ماسون" ولا تفتأ تمدد بالمال بين أن وآخر .. ووجد معه خطاب كتبه إليه قبل مصرعها بيومين تقول فيه :

- إن البارون "دوري" في سبيل الحصول على صفقة عظيمة .. فإذا نجح فسوف ياخذني في اليوم التالي إلى بروكسل .. ولكنك ستلحق

بي هناك .. اليس كذلك ايها العزيز ؟ وسننتهز اول فرصة تسنح لنا للفرار معا بالمبلغ الضخم .. فلا تنس انني احبك .

ورأى "فيكتور" في تطور الحوادث على هذا النحو ما أزعه. فما كان ينبغي أن تتدخل إدارة البوليس في أمر "أرسين لوبين" ، إذ إنه يعد هذا الوغد ضالته هو . وهو وحده الذي عليه أن يتولى التحريات الخاصة بـ "أرسين لوبين" وعصابته وعلى الأخص الأميرة "بازيلييف" والإنجليزي "بيميش" .. وأراد أن يعرف ما يجري في إدارة البوليس فغادر الفندق حيث أزال تنكره وتقمص شخصية المفتش "فيكتور" من جديد ثم ذهب إلى الإدارة فقابله المفتش "موليون" منتفخ الأوداج فخورا بما بلغه من نجاح ، وهو يسخر من "فيكتور" ومن أساليبه العتيقة الفاشلة فإذا كان "أرسين لوبين" قد استطاع الإفلات هذه المرة فلا ريب أنه واقع بين يديه عما قريب .

ثم ذهبوا معا إلى مكتب قاضي التحقيق وكان يهم في تلك اللحظة باستجواب البارون "دونري" ومواجهته بالخطاب الذي أرسلته "إليز ماسون" إلى عشيقها الروسي .. فلما تلا عليه الخطاب شحب وجهه وترنح في موقفه كالتمثال وراح يغمغم في صوت متهدج :

- يا للعينة .. الفاجرة .. أكان لها عشيق آخر ؟ لقد انتشلتها من الأوحال .. ومع ذلك كانت توشك أن تفر معه ؟ ..

وعبثا حاول قاضي التحقيق أن يدفعه إلى الاعتراف بالحقيقة.. فقد ظل الرجل يتمتم بهذه العبارات ومثلها كأنما لا يرى أمامه سوى تلك الخيانة الصارخة . أما سرقة السندات ، ومقتل الأب "ليسكو" فلا يهمه أن يتهم بهما .

وتحول قاضي التحقيق إلى "جوستاف جيروم" .. وجابهه بأن بستانيه قد اعترف بأنه لم يعد إلا بعد الساعة الثالثة من صباح تلك الليلة .. ليس ذلك فحسب ولكنه اعترف أيضا بأن "جيروم" وعده

بخمسة آلاف من الفرنكات إذا قال إنه عاد قبل منتصف الليل .

ولكن عضو المجلس المحلي لم يزد على قوله :

- لقد ضقت ذرعا بهذه السخافات وأردت أن أتخلص من مضايقة رجال البوليس فطلبت ذلك من البستاني حقا .. فافعلوا ما بدا لكم ولتأخذ العدالة مجراها .

* * *

وفي تلك الليلة حاول البارون الانتحار وراح يضرب رأسه بجدران حجرته في السجن ولكن الحراس حالوا دون تحقيق غرضه والبسوه ثياب المجانين .

* * *

وفي اليوم التالي تقابل "فيكتور" و"موليون" وذهبا معا إلى "جارسن" وراحا يستجوبان زوجة البارون "دونري" وزوجة "جوستاف جيروم" من جديد ، فاصرت كل منهما على أقوالها .. وفي أثناء عودتهما قال "موليون" .

- نسيت أن أخبرك أن المدير يريد أن يراك ..

- لماذا ؟

- بسبب السائق الذي أوصل "دونري" من محطة الشمال إلى محطة "سان لازار" .. فقد وجدناه .

- بالله ! .. لماذا لم تخبرني من قبل ؟ ..

وأسرع إلى مقابلة المسيو "جوتيه" الذي أخبره أن السائق رأى صورة البارون "دونري" في الصحف وعلم أنهم يبحثون عن السيارة التي اقلته إلى محطة "سان لازار" فقدم نفسه لإدارة البوليس ، وعرض عليه "دونري" فعرفه للتو .

ثم ذكر أن المتهم استقل سيارته ولكنه لم يذهب بها إلى محطة "سان لازار" راسا بل قام بدورة واسعة حول ميدان "الأنثيال" لم يفهم

السائق سببها إذ لم يغادر "دونري" السيارة قط .. وقد حجزه البوليس
بعد أن أدلى بأقواله حتى يراه "فيكتور" كما طلب من قبل .

* * *

أخذ "فيكتور" إلى الصمت مفكرا بين دهشة رئيسه والمفتش
"موليون" .. وما لبث أن قال :

- لو صح حدسي يا سيدي الرئيس فإن الفترة بين الساعة الخامسة
والثالث إلى السادسة هي التي استطاع البارون "دونري" أن يخفي فيها
السندات المسروقة :

فلا ريب أنها كانت معه عندما ضحى عشيقته إلى محطة الشمال
للفرار إلى بلجيكا ولكنه عدل عن السفر في اللحظة الأخيرة لسبب لا
ندري كنهه بعد ، فلما قرأ في الصحيفة التي اشتراها وقتئذ أن
البوليس يرتاب فيه وقد يكون في انتظاره في محطة "جارسن" عول
على إخفاء السندات في مكان ما .

فقاطعه "موليون" ساخرا .

- ولكنه لم يغادر السيارة قط .

- إذن فهناك أحد أمرين . إما أن يكون قد عهد بها إلى السائق .

- محال . وإلا ما تقدم الرجل بنفسه إلى البوليس ليُدلي بشهادته .

- وإما أن يكون قد أخفاها في السيارة .

فأنفجر "موليون" ضاحكا وهو يقول في سخرية :

- بالله ! .. ما أشد ذكاعك يا "فيكتور" ! .

ولكن المسيو "جوتيه" لم يشاطره هذا الهز وإنما سال "فيكتور" في
لهفة :

- وكيف يمكن أن يخفي السندات في السيارة ؟

- إنه يستطيع أن يضعها داخل إحدى الوسائد ثم يخيط الشق من

جديد .

- ولكن نلك يحتاج إلى وقت طويل .

- وهذا هو ما دعاه إلى تلك الجولة الواسعة قبل أن يذهب إلى محطة
"سان لازار" . ويمكننا أن نستوثق الرأي بتفتيش السيارة ، فإين هي ؟
- إنها في الغناء . فهيا بنا .

استدعى السائق ليرشدهم إلى سيارته ، وعندئذ راح "فيكتور"
يفحص وسائدها في دقة حتى اهتدى إلى شق حديث الرتق فأخرج
مبراته وقطع بها الخيوط ثم مد يده يبحث بداخلها وما لبث أن صاح :
- ها هي ذي .

- ثم أخرج قطعة من الورق المقوى وما إن نظر إليها حتى ندت منه
صيحة غضب . فقد كانت بطاقة "أرسين لوبين" وعليها هذه العبارة .
"معذرة . فقد سبقتكم إلى السندات . "أرسين لوبين" فاحتقن وجهه
غضبا وتوهجت عيناه وهو يقول :

- سوف أنال هذا الوجد قبل أن يمضي أسبوعان يا سيدي الرئيس .
ثم استدار على عقبه وعاد إلى مسكنه حيث استغرق في نوم عميق .
وفي الصباح ذكرت الصحف تلك القصة وهي تطري ذكاء "فيكتور"
ودقة فراسته . كما ذكرت صحف المساء نبا انتحار البارون "دونري" في
سجنه على اثر علمه بضياح السندات إذ قطع شرايين يده بقطعة من
الزجاج ، وكان ذلك أبلغ اعتراف منه بجرمه غير أنه لا يلقي ضوءا على
جريمة الكوخ وشارع "فوجيرار" ، ولكن الجمهور ما كان يكتثر إلا
لشيء واحد فقط هو الذي يثير اهتمامه . ذلك هو أرسين لوبين
والطريقة التي سينجو بها من شباك "فيكتور" المفتش ببوليس الأداب .

* * *

وفي المساء استعاد "فيكتور" شخصية "ماركوس افيستو" من جديد ،
وعاد إلى فندق "كلاريدج" حيث تناول العشاء دون أن يرى الأميرة
"بازيلييف" .

ولكنه ما إن أوى إلى حجرته في الساعة العاشرة حتى قرع جرس
التليفون وسمع صوتا ناعما يقول له :

- الو ، مسيو "ماركوس أفيستو" . إنني الأميرة "الكسندرا
بازيلييف" .. إذا لم يكن لديك ما يشغلك الآن يا سيدي العزيز فإنه
ليسرني أن تحضر لتحدث معا قليلا .

- الآن يا سيدتي .

- أجل . الآن .

الفصل السادس

فرك "فيكتور" كفيه جذلا فقد حانت اللحظة التي كان يرتقبها .. وها هي ذي الاميرة "بازيليف" تشعر بحاجتها إليه .

وفتح باب الحجرة وخرج إلى الممشى متلصصا فلما لم ير ما يريبه سار في خطى سريعة إلى حجرة الاميرة فوجد بابها مواربا كما وجدها في انتظاره عند باب المخدع الداخلي وقد ارتدت ثوبا يكشف عن كتفها العاجيتين .. وكانت منبسطة الأسارير لا يبدو عليها شيء من ذلك الجمود والترفع اللذين تظهر بهما امام الناس .

وقابلته في حفاوة وقدمت له مقعدا وهي تقول :

- شكرا لك . فقد كنت اشعر بالضيق فارتدت ان نتحدث قليلا .

- ولكن الضيق الذي ينتابك ليس مما تبدده محادثة هادئة في مثل هذا المخدع الانيق .

- اتعرف له علاجا آخر ؟

فقال متظاهرا بالمزاح : اجل . إنني أستطيع أن أجيبك بالآخطار المروعة فأكدها فوق رأسك . وبذلك يذهب هذا الملل الذي تعانينه .

ثم اقترب منها واستطرد في جد :

- ولكن ما فائدة ذلك كله . اليس حياتك حلقة متصلة من الآخطار والأهوال ؟

فتورد وجهها قليلا وقالت :

- ما الذي يدعوك إلى هذا القول ؟

- الست كذلك حقا . الا تتوقين - كلما أمضت الوحدة - إلى المواقف

المثيرة التي تبعث الرعب في أقسى القلوب وأكثرها شجاعة .

فلم تجبه وراحت تتشاغل بتقليب الصحف الموضوعة فوق الخوان

بينهما وما لبثت ان قالت :

- هل قرأت الصحف ؟ ما رايك في قصة السندات المسروقة ؟ .

وكانت هذه اول إشارة بينهما إلى تلك القضية التي كانت تشغل فكريهما فأجاب : إنها قضية غامضة .

- هي كذلك حقا . ولكن ها قد استجبت فيها امور جديدة تلقي الضوء عليها . فانتحار البارون "دوتري" مثلا يعد بمثابة اعتراف كامل .

- هل انت واثقة بذلك ؟ لقد انتحر لخيانة عشيقته وضياع امواله . ولكن هل هو الذي قتل الاب "ليسكو" حقا ؟

- ومن الذي قتله إذن ؟

- ربما كان أحد شركائه ولعله "جوستاف جيروم" أو عشيق تلك المرأة التي فرت من النافذة ؟

- عشيقها ؟

- أجل . "أرسين لوبين" .

- ولكن "أرسين لوبين" لا يقتل . ولا يسفك دما .

- ربما اضطر إلى ذلك .

وعلى الرغم من انهما كانا يتبادلان هذا الحديث في هدوء كأنه لا يعني أحدا منهما فقد أحس "فيكتور" دون أن يحول بصره إليها انها تنتفض وهي تساله بصوت متهدج :

ما الذي تظنه في المرأة ؟ .

- من .. غادة السينما ؟

- هل تظن انهما امرأة واحدة ؟

- بلا ريب .

- أجل .. هي التي رؤيت في منزل "إليز ماسون" ؟ .

- أجل .

- إذن فانت تعتقد انها .

ولم تتم عبارتها ولكن "فيكتور" اتمها قائلا :

- وهي التي قتلت "إليز ماسون" .. وإني لفي عجب من تلك المرأة وفي دهشة من استهتارها بالخطر .. ثم إن مقتل "إليز ماسون" يدل على الغباء فإن السندات لم تكن معها ، فعلام القتل إذن ؟

- ما الذي يهكم انت في هذا الموضوع ؟

- رجلان .. لا كهؤلاء الاطفال "دونري" و"جيروم" والمفتش "موليون" ولكنهما رجلان حقا .. قدا من فولاذ .. ويمضيان في طريقهما دون تعثر او خطأ .. إنهما "أرسين لوبين" .. والمفتش "فيكتور".

- "أرسين لوبين" ؟

- إنه البطل الاعظم .. فالطريقة التي استطاع بها ان يعثر على السندات تدعو إلى الإعجاب حقا . اما "فيكتور" فلا يقل عنه عزما ومضاء .. وقد امكنه ان يجد المخبا الذي كانت مودعة فيه .

- وهل تظن هذا الرجل قادرا على ان ينال "لوبين" ؟

- بلا شك . فإني اعرف أساليب هذا الشيطان . ولا ريب انه يعرف عن حقيقة "لوبين" أكثر مما يظهره وأغلب ظني انه يتتبع اثره الآن . فظلت الاميرة شاردة لحظة ثم قالت : لو ناله لكانت خسارة عظمية . فإن هؤلاء الرجال الذين يطاردهم القانون يثيرون إعجابي بما يحتملونه من قلق وانفعال كلما قاموا بعملهم .

- إنك واهمة في ذلك . فإنهم لا يلبثون ان يعتادوا هذا العمل ويؤدوه كما يؤدي أى إنسان واجبه في وضح النهار . فأنا مثلا قد ارشدني بعضهم إلى ...

ثم كف عن الاستمرار في كلامه وهم بالقيام قائلا :

- ولكن معذرة ، فإني اضيع وقتك سدى .

فامسكت به وقد ثار فضولها . وقالت :

- ما الذي كنت تقوله ؟ امض في حديثك .
- لا شيء : إنه أمر تافه لا قيمة له . فقد علمت ان هناك سوارا
مرصعا بالماس . وليس علي إلا ان امد يدي فالتقطه . وهانتي ترين
انها نزهة قصيرة ، ليس فيها اثر للانفعالات التي تظننيها .
وسار إلى الباب . ولكنها امسكت بذراعه وراحت تنظر إليه في
فضول ولهفة وما لبثت ان قالت : متى تقوم بهذه النزهة القصيرة ؟

- لماذا ؟ هل تريدان الذهاب معي ؟
- اجل .. فإن الملل يكاد يقتلني .
- وهل تجدان في ذلك تسلية لك ؟
- نعم .. نعم .
- بعد الغد .. في الساعة الثانية بعد الظهر .. شارع "ريفو" ميدان
"سان جاك" ثم غادر الحجرة دون ان ينتظر إجابتها .

* * *

وفي الموعد المحدد كان "فيكتور" يجلس على مقعد في حديقة ميدان
"سان جاك" ، فراها تحضر وقد ارتدت ثوبا قصيرا من القماش
الرخيص واسدلت قبعاتها بحيث تخفي شعرها الذهبي ، وهي تبدو
سعيدة بالمغامرة التي كانت توشك ان تقدم عليها .. فسألتها :

- الا تزالين راغبة في مرافقتي ؟
- بلى :

- دعيني اقل شيئا على سبيل الإيضاح .

- أتراه ضروريا ؟

- أجل ، حتى يهدأ جاشك قليلا .

- لا لزوم لذلك .. وهيا بنا إلى تلك النزهة .

- حسنا سوف نزور رجلا طيبا يقوم بشراء الحلوي المسروقة ، وقد

ابتاع بالامس ذلك السوار ولكنني سوف استرده منه دون ان ادفع

شيئا ، وهو يستغرق في هذه الساعة في نوم عميق لا يفيق منه قبل الساعة الثالثة .

* * *

وغادر الحديقة فسار بها بضع خطوات حيث كانت سيارته بجوار الإفريز وجعل الكسندرا تستقلها فجأة قبل أن يتسع لها الوقت لقراءة رقمها .. ومضى بالسيارة وهو يقودها في شوارع ضيقة متعرجة لم تستطع "الكسندرا" أن تعرف اسماءها ، حتى لقد شكت في أنه يعتمد ذلك حتى لا تشي به .. وأخيرا سألته بغتة:

- إنك لست من بيرو .. اليس كذلك ؟

- نعم لست من بيرو .

- فرنسي ؟

- من "مونتريتر" ! .

- من أنت إذن ؟

- إنني سائق سيارة الأميرة "بازيلييف" ! .

ووقفت السيارة أمام بناء كبير . فهبطا منها واجتازا فناء متسعا مربعا تحيط به منازل قديمة لكل منها درج مستقل يميزه حرف خاص فسارا إلى الدرج حرف (ف) وارتقيا حتى بلغا الطابق الخامس والآخر فاخرج "فيكتور" من جيبه حزمة من المفاتيح وورقة كان عليها رسم المسكن ثم أولج أحد المفاتيح ففتح الباب دون أن يند عنه أي صوت .

وتردد "فيكتور" قليلا ثم قال لرفيقتة :

- الست خائفة ؟

فهزت كتفيها ولم تقل شيئا . ولكنها في نفس الوقت كانت قد كفت عن الضحك واستعاد وجهها شحوبه المعتاد .
وأشار "فيكتور" إلى إحدى الغرف بعد أن اجتازا الردهة وقال :

- إنه ينام هنا .

ثم مضى إلى الحجرة المجاورة وكانت تحتوي إلى جانب أثاثها المتواضع على خزانة حديدية ويفصلها عن الحجرة الأخرى منفذ ضيق تغطيه ستارة بالية أزاحها "فيكتور" بيده في خفة ونظر داخل الحجرة . ثم دعا رفيقته للنظر بدورها . فرأت في الجدار المقابل مرآة كبيرة انعكست عليها صورة رجل يرقد على أريكة ضيقة وقد أدار وجهه إلى الجدار فلم يظهر في المرآة .
فقال "فيكتور" :

- ابقني هنا . وإذا رأيته يتحرك فأنذريني .

ولمس يدها فوجدتها باردة كالثلج . بينما كانت عيناها المحمومتان لا تتحولان عن الرجل المستغرق في النوم ،
ومضى "فيكتور" إلى الخزانة فراح يعالج قفلها حتى استطاع أن يفتحها ، وأخذ يفتش داخلها حتى عثر على السوار فوضعه في جيبه . وفي تلك اللحظة انبعث من الحجرة الأخرى صوت شيء يسقط على الأرض فأسرعت الأميرة بإسدال الستار وهي تترنج خوفا . فخف إليها "فيكتور" وسمعها تغمغم :
- لقد تحرك . إنه يستيقظ .

فمد يده إلى جيبه الخلفي لإخراج مسدسه .. ولكن الأميرة أمسكت بذراعه في اضطراب بالغ وهي تهمس :
- هل جننت ؟ لا .. إنك لن تفعل ذلك أبدا .
فوضع يده على فمها وقال : صه ! . أصغي .

ولكن السكون قد عاد إلى الحجرة ، فجذب "فيكتور" رفيقته إلى باب المسكن في هدوء حتى إذا ما خرجا إلى قمة الدرج لم يكن قد مضى عليهما أكثر من خمس دقائق .

وجلست الأميرة في السيارة وقد تقلص وجهها حتى لقد ظن أنها

ستنخرط في البكاء ، ولكنها ما لبثت أن ضحكت في عصبية وهو يريها السوار . وقالت :

- إنها صفقة رابحة ، فهنئنا لك هذا النجاح الباهر :
وكانت نبراتها تشف عن التهكم اللاذع ، وأحس "فيكتور" كأنها تتباعد عنه .. وما لبثت أن طلبت إليه أن يوقف السيارة ، ثم غادرته دون أن تقول كلمة واحدة ، ومضت إلى موقف لسيارات الاجرة ، فاستقلت واحدة منها .

* * *

وعندئذ عاد "فيكتور" إلى المنزل القديم الذي غادره منذ قليل ، وصعد الدرج إلى الطابق الخامس ثم قرع الجرس ! ففتح الباب وبدأ منه الرجل الذي كان مستغرقا في النوم منذ حين ، فقال :
- أحسنت يا "لارمونا" ، لقد أجدت تمثيل دورك يا بني ولكن ما الذي سقط منك ؟

- إنها عويناتي .

- لقد كنت أوشك أن أطلق عليك الرصاص لولا أن منعتني "الكسندرا" وهذا يدل على أنها بعيدة كل البعد عن ارتكاب جريمة قتل ، والآن ، هاك السوار فاعده إلى صديقك الجوهري الذي أعارك إياه ، واشكره نيابة عني .

وفي تلك الليلة اتخذت الأميرة "الكسندرا" بازيليف لنفسها مكانا آخر إلى تلك المائدة ، ثم جلست بعد العشاء في ركن بعيد تطالع بعض المجلات المصورة دون أن تلتفت ناحية "فيكتور" أو تبادله التحية .

* * *

ومضى يومان لم يجد خلالهما شيء ، وفي اليوم الثالث كان "فيكتور" يطل من شرفة الفندق بعد الغداء فرأى اثنين من مفتشي البوليس يجلسان في الحديقة المقابلة لدخل الفندق ويرقبان الداخلين

والخارجين منه كما رأى اثنين آخرين على الرصيف المقابل يتظاهران بالتسكع والتطلع إلى واجهات الحوانيت ، ثم اثنين آخرين على مبعدة منها .

فاضطرب "فيكتور" ظهرا لبطن لدى رؤية زملائه الستة وعلم أن موليون" يبيت امرا لبعض نزلاء الفندق . فما هو ؟ وما مدى معلوماته عن الاميرة "الكسندرا بازيلييف" وعن "ارسين لوبين" ؟ وما هو السبيل الذي يسلكه ، إزاء هذه الحالة الطارئة ؟ هل يعاون زميله كما ينبغي ان يفعل مفتش البوليس حسن السمعة مثله ؟ . وفي هذه الحالة يستطيع "موليون" أن يقبض على الاميرة وعلى الإنجليزي "بيميش" . ثم من بعدهما "ارسين لوبين" ؟ . لا .. لن يفعل ذلك وإلا لصاعت جهوده هباء ، وحظي غيره بذلك الشرف الذي يجب أن يستبقيه لنفسه . شرف القبض على "ارسين لوبين" هذا . والتكيل به .

* * *

وفي تلك اللحظة رأى "لارمونا" يدنو من الفندق ، في خطوات بطيئة ثم يدخله بعد أن تبادل مع المفتشين الجالسين في الحديقة نظرة ذات مغزى ، فأسرع "فيكتور" بالنزول إلى ردهة الفندق ، وكانت مكتظة في تلك الساعة بالنزلاء والوافدين لتناول الشاي فكان من السهل ان يقابل "لارمونا" دون أن يلاحظهما احد . وساله :

- ماذا حدث ؟

- إن الفندق محاصر .

- لماذا ؟

- يبدو أن المفتش "موليون" يعتقد بأن الإنجليزي الذي فر من المشرب يقيم هنا .

- والاميرة ؟

- إنه لا يعلم شيئا عنها .

- و"ارسين لوبين" ؟

- لم يات ذكره على لسانه.

- وهل جئت لتنذرني ؟

- بل إنني اقوم بالعمل معهم ، فقد كان ينقصهم احد الرجال ورآني

"موليون" فارسلني إلى هنا .

- وهل ينوي الحضور بنفسه ؟

- إنه هنا .. انظر .. ها هو ذا يتحدث إلى حارس الباب .. ونحن

اثنا عشر ، فيحسن أن تغادر الفندق .

- هل جئنت .. لماذا اركن إلى الفرار .

- سوف يستجوبك ، فإذا عرف أنك المفتش "فيكتور" .

- وما في ذلك .. إنني أتنكر في هذا الزي لأقوم بأبحاثي الخاصة ..

فلا تهتم بي .

وتركه "لارمونا" فذهب إلى حيث كان المفتش "موليون" ومضى معه إلى حجرة مدير الفندق ثم عاد بعد قليل إلى حيث كان "فيكتور" فقال له:

- إنه يفحص سجل الفندق ويأخذ أسماء الأجانب النازلين فيه .

ويبدو انه لا يعرف اسم الإنجليزي ولذلك سوف يستدعيهم واحدا بعد الآخر لاستجوابهم والاطلاع على أوراقهم الشخصية .

- إن أوراقي لا غبار عليها .. ولكن ما العمل إذا أراد احد مغادرة

الفندق ؟

- إن ستة من المفتشين يكمنون خارجه فإذا غادر أحد الفندق قادوه

إلى حجرة المدير .. كما أن أحد المفتشين يراقب المحادثات التليفونية .

- واثنت ؟

- إنني مكلف بحراسة الباب الخلفي الخاص بالخدم والموردين فلا

يخرج أحد منه حتى الساعة السادسة إلا إذا كان يحمل تصريحاً من المفتش "موليون" على إحدى بطاقات الفندق .

ولم يتردد "فيكتور" بل أسرع بارتقاء المصعد إلى الطابق الثالث.. وفي تلك اللحظة كانت الأميرة "الكسندرا" تبدو في باب حجرتها ترتدي ثوبا للخروج فهرع نحوها وأمسك بكتفها ثم دفعها إلى داخل الحجرة وهي تقاومه غاضبة وتسأله عن السبب .
فاجاب :

- إن رجال البوليس يحاصرون الفندق ، ويفتشون النزلاء ، ثم أغلق الباب خلفه والأميرة تزداد غضبا واحتجاجا ، وتقول :
- إنك شديد الجراة يا سيدي فباي حق تجرؤ على ..
- قلت لك إن البوليس يحاصر الفندق .
- وما شأني بذلك ؟
- إنهم يستجوبون الإنجليز .. وسوف يسألون مستر "بيميش" بعد قليل .

فاهتزت أهدابها لحظات ثم قالت :

- إنني لا أعرف هذا الرجل ، ولا يعنيني أمره .
- أحقا ؟ أرجو ألا تضيعي الوقت هباء فإن الخطر يتهددكما معا .
- فانتفضت الأميرة ولم يدر "فيكتور" إن كان ذلك عن قلق أو من وقع الإهانة في نفسها ، وما لبثت أن قالت :
- إن هذا الرجل لا يمت لي بصلة ، ولست أرى ما يدفعك إلى هذا القول .

- اصغي إلي قليلا .. لقد دخلت حجرة مستر "بيميش" وفتشتها قبل الآن .. فهل تدريين ما الذي وجدته فيها ؟ لقد وجدت المنديل البرتقالي ذا الخطوط الخضراء الذي خنقت به "إليز ماسون" وسوف يجده رجال

البوليس بدورهم .

فترنحت الأميرة وراحت تغمغم لاهثة :

- هذا ليس بصحيح .. إنك تهذي .

- فإذا ما وجدوا المنديل فلن يلبثوا حتى يعرفوا حقيقة المرأة التي

شوهدت تهبط درج المنزل ، المرأة القاتلة .

فالقت الأميرة بنفسها بين ذراعي "فيكتور" في فزع وهي تصيح:

- كلا .. كلا . إنها لم تقتل احدا . إنها تفزع من مرأى الدماء ، ومن

القتل .

- إذن من الذي قتل "إليز ماسون" ؟

فلم تجبه . وسرعان ما تبدد جزعها واستعادت هدوءها وقالت :

- ذلك لا يهم الآن . ولك أن تظن بي ما تشاء . ولكن لماذا احتفظ

"بيميـش" بهذا المنديل . لقد كان المتفق عليه أن يتخلص منه بآية

وسيلة وهانذا قد وضعت .

- لماذا ؟ . إنك تستطيعين الخروج دون أن يمنعك شيء .

- لا أستطيع . لست أجد القدرة على ذلك .

- إذن ساعديني على تحذيره . وسأخذ المنديل منه وأرشده إلى

طريق الفرار .

- اذهب إليه في حجرته واطرق الباب طرقتين متتابعتين ثلاث مرات

وسوف يثق بك ويفتحه . ولكن ما الذي يجب أن أصنعه ؟ .

- ابقى هنا . وسوف أعود إليك بعد زوال الخطر .

- وإذا لم تستطع العودة ؟

- اذهبي يوم الجمعة إلى ميدان "سان جاك" ، حيث تقابلنا في المرة

السابقة وانتظريني هناك .

وكان الإنجليزي يأوي إلى حجرته منذ بضعة أيام ولا يغادرها

بحجة أن قدمه مصابة برضوض شديدة فلما طرق "فيكتور" بابه على
الخو الذي ذكرته له الأميرة ، فتحه له وراه يسير وقدمه ملفوفة
بالأربطة والضامات .

وتم التفاهم بين الرجلين سريعا ، وكان الخوف قد تملك الإنجليزي
فأسلم قياده إلى "فيكتور" في سهولة ويسر ، وتركه يأخذ المنديل
البرتقالي بينما تناول "فيكتور" إحدى بطاقات الفندق من جيبه وخط
عليها هذه الجملة :

"يسمح لحامله بالخروج . المفتش "موليون" - واعطاها للإنجليزي
بعد أن أرشده إلى الخروج من الباب الخلفي .

وفي اللحظة التي أوشك أن يغادر الحجرة فيها ، طرق الباب ثم
سمع مفتاحا يدور فيه ، وإذا باثنين من مفتشي البوليس يدخلان وفي
صحبتهما أحد الخدم وهو الذي كان يفتح الأبواب بالمفاتيح المحفوظة
في الفندق .

وعندئذ قال "فيكتور" لصاحبه في لكة اجنبية :

- إلى اللقاء يا سيدي العزيز . وأرجو أن تشفى ساقك عاجلا .

ثم تقدم نحو الباب فاعترضه أحد المفتشين قائلا في أدب :

- معذرة يا سيدي . إنني المفتش "روبو" من إدارة المباحث الجنائية

هل تعرف هذا السيد ومنذ متى ؟

- مستر "بيميش" ؟ . لقد عرفته منذ بضعة أيام في بهو الفندق .

وقدم لي سيجارا ، فرأيت من الواجب أن أزوره بعد أن أصيبت ساقه .
وإني أدعى "ماركوس أفيستو" .

- أه ! . إنك من بين الأشخاص الذين يود المفتش "موليون" أن يطرح

عليهم بضعة أسئلة فهل لك أن تذهب إليه في مكتب مدير الفندق ؟ .

ولكن . هل معك أوراقك الشخصية ؟

- إنها في حجرتي .

- إذن فسوف يصحبك زميلي .

ثم التفت إلى الإنجليزي وسأله إن كان يستطيع المشي فأجابه
بالنفي وعندئذ قال لزميله :

- قل للمفتش ان يحضر إلى هنا . وفي انتظار ذلك ساقوم بفحص

أوراق هذا الرجل .

وذهب "فيكتور" مع مفتش البوليس إلى حجرته فاحضر أوراقه
وهبطا معا إلى مكتب المدير ، فما كاد المفتش "موليون" يراه حتى أشار
إلى أحد مساعديه ان يفحص أوراقه إذ لم يكن يعنى إلا بالإنجليزي
الذي يبحث عنه . فلما أخبره الشرطي الذي كان يصحب "فيكتور" ان
الإنجليزي لا يستطيع الحضور بسبب إصابة قدمه نهض من مجلسه
وقال له :

- تعال معي .

وفي هذه الاثناء كانت أوراق "ماركوس افيستو" قد تم فحصها فتبع
مفتشي البوليس إلى الطابق الثالث مختلطا بالمحتشدين حولهما
بحيث لم ينتبها إلى وجوده وهما يقرعان حجرة الإنجليزي دون ان
يسمعا جوابا .

وسرعان ما اقتحما الباب فإذا بالمفتش "روبو" ملقى على أرض
الحجرة وقد اوثقت يداه وقدماه فذكر لهما بعد ان حلا وثاقه انه بينما
كان يتحدث إلى الإنجليزي فاجاه شخص من الخلف بضربة قوية
فاغمي عليه . ولا ريب انه أحد شركاء الإنجليزي وكان مختبئا في
الحمام .

فاصدر "موليون" أوامره بالا يسمحوا لأحد بمغادرة الفندق ، وان
يقبض على كل من يحاول الفرار ، ثم راح يفتش الحجرة والحمام

المجاور لها دون أن يجد شيئا فأسرع بالخروج ليهبط إلى الطابق الأسفل ، ولكنه ما كاد يصل إلى باب المصعد حتى سمع ضجة تنبعث من الطرف الأيمن للممشى . وإذا ببعض النزلاء يحتشدون أمام الصالون الشتوي - ولم يكن يستعمل في ذلك الوقت .

- وهم يحيطون بشيء أثار اهتمامهم . فخف إليهم "موليون" ، يتبعه رجاله ومن خلفهم "فيكتور" وإذا بهم أمام جثة غارقة في الدماء ما كاد المفتش "روبو" يراها حتى صاح :

- إنه الإنجليزي .. لقد عرفته الآن .. هل قتل ؟

فقال أحد الحضور :

- لا . ولكنه مصاب بجرح شديد من طعنة سكين في الكتف .

فأسرع "فيكتور" خفية إلى الباب الخلفي حيث كان "لارمونا" قائما بالحراسة . وسأله في لهفة :

- ألم يخرج أحد من هنا ؟

- بلى . وهو رجل أحضر لي تصريحاً من المفتش "موليون" .

- إنه تصريح زائف . ألا تعلم من هو إذن ؟

- من ؟ .

- "أرسين لوبين" !

وفي هذه الأثناء كان رجال البوليس يفتشون أنحاء الفندق ويسألون زملاءهم الذين يحرسون الأبواب وما لبث أحدهم أن عاد إلى "موليون" فأخبره عن خروج الرجل من الباب الخلفي بعد أن قدم إلى "لارمونا" تصريحاً زائفاً .

وعندئذ قال المفتش "روبو" إنه لاحظ عند دخوله حجرة الإنجليزي وجود محبرة مفتوحة فوق الخوان عندما كان السيد "ماركوس افيستو" موجوداً عنده ، فامر "موليون" بإحضار الرجل فوراً ولكن

البحث عنه في الفندق لم يسفر عن أي أثر له كما أنهم لدى تفتيش حجرته لم يجدوا بها إلا بعض الثياب الداخلية ، وصندوقا كاملا لأدوات التنكر كان لا يزال مفتوحا .. فارغى "موليون" وازيد قائلا إن ذلك الرجل الذي كان يزعم أنه من أثرياء بيرو ليس إلا أحد أفراد العصابة ولا ريب أنه لا يزال في الفندق مادام لم يخرج منه سوى رجل واحد فقط .

وعندئذ قال له المسيو "جوتيه" مدير البوليس :

- يجب أن يفتش الفندق كله تفتيشا دقيقا . وسوف يساعدك "فيكتور" في ذلك .

- ولكنه ليس هنا .

- بل هنا . لقد قابلته الآن عند حضوري وكان يتحدث مع زملائه في الخارج فأخبرني أنه كان يمر امام الفندق فعلم بما حدث ، ولذلك بادر إلى الدخول لعله يستطيع أن يمد لنا يد المساعدة .

ودعي "فيكتور" فجاء يهنئ "موليون" بتوقيقه في القبض على الإنجليزي فقال "موليون" :

- أجل . ولكن "لوبيين" ؟ ..

- آه ! ! "لوبيين" ! ! إنه يخصني أنا ، ولو لم تتسرع في هذه الخطوة

لقدمته إليك موثق القياد .

وفي تلك اللحظة أتى أحد المفتشين برجل إنجليزي يدعى "مارفنج" قدم الفندق للتو وعلم من حارس الباب أنه استأجر حجرة في الطابق الثالث بصفة مستديمة ولكنه لا يحضر إليها إلا مرتين في الأسبوع حيث توافيه سيدة تسدل على وجهها نقابا كثيفا يخفي ملامحها ،

وما كاد "موليون" يرى ذلك الرجل حتى صاح :

- ماذا ؟ . أنت ؟ . أنت "فليكس" صديق "جوستاف جيروم" .

الجميل ؟ لماذا تنتحل هذه الشخصية الجديدة بحق السماء ؟ .

- إنني حر فيما أفعله . ثم إن الأمر لا يعني أحدا سواي .

- والسيدة التي تقابلها خلصة ؟ تلك التي تخفي وجهها خلف نقاب

كثيف ؟

- إنها صديقة لي .

- هل هي متزوجة ؟

- لا . لا . ولكن لديها أسبابا خاصة تحملها على إخفاء شخصيتها .

فمحض "موليون" رسم حجرات الفندق وما لبث أن قال :

- إن حجرة هذا الرجل تقع في الدور الثالث أيضا ، وهي قريبة من

الصالون الشتوي الذي أصيب فيه المستر "بيميش" الإنجليزي .

فنظر إليه مسيو "جوتيه" نظرة ذات معنى وكأنما واتهما نفس

الفكرة معا . فهل يمكن أن يكون "فليكس ديفال" من أفراد العصابة

أيضا ؟ وهل المرأة التي يقابلها خفية هي عادة سينما "بلتازار" وقاتلة

"إليز ماسون" ؟

وتحول كلاهما ينظران إلى "فيكتور" . ولكن هذا هز كتفيه وهو يقول

في سخرية :

- إنكما تذهبان بعيدا . فليست هذه المسألة إلا محض مصادفة لا

قيمة لها . ولكن يحسن بنا أن نصفي الأمور . ولذلك أرجو أن تسمح

لي بشيء من وقتك يوما ما يا سيدي المدير .

وما إن انصرف رجال البوليس وحمل "بيميش" الإنجليزي إلى

المستشفى حتى أراء "فيكتور" أن يحذر الأميرة "بازيلييف" ، إذ قد

يعترف الإنجليزي بأشياء تضر بها ، ولكنه عندما أراد الاتصال

بحجرتها علم أنها لا تجيب النداء ، فأسرع إلى حارس الباب وسأله

عنها ، فاجاب :

- لقد غادرت الفندق منذ ساعة . وكانت أمتعتها قد حملت أمس،
وسددت حسابها صباح اليوم .

الفصل السابع

في اليوم التالي دعا "فيكتور" إليه "لارمونا" وكلفه بالتحري عن حالة "فليكس ديفال" المالية . فاتصل به في المساء وأبلغه أن الرجل غارق في الديون ويحاول إصلاح شؤونه بمضاربات يائسة تزيد سوءا على سوء . كما علم منه أن قاضي التحقيق قد دعا "ديفال" والبارونة "دونري" و"جوستاف" وزوجته لمقابلته صباح الغد ، وأن المسيو "جوتيه" والمفتش "موليون" سيحضران هذا الاستجواب . فقال له "فيكتور" إنه سيحضره كذلك .

وفي الصباح ذهب "فيكتور" إلى فندق "كلاريدج" وطلب أن يرى الحجرة التي كان "ديفال" يستأجرها . ثم مضى إلى إدارة البوليس حيث اجتمع بالمحققين وطلب دعوة مدام "دونري" و"فليكس جيروم" أولا فدخلت الأرملة ترتدي ثياب الحداد وعلى وجهها نقاب أسود كثيف وتبعها "جيروم" مرحة كعادته . وعندئذ بدا "فيكتور" يتحدث :

- لقد أردت يا سيدي القاضي أن أزيل العقبات التي تعترض سبيلنا وأصحح الأخطاء والأوهام التي تسد علينا المسالك قبل أن نبدا هجومنا الأخير على "أرسين لوبين" . والآن فإنني أوجه إلى مدام "دونري" سؤالاً أرجو أن تجيبني عنه في صراحة : هل تعدين انتحار زوجك اعترافاً منه يا سيدتي ؟

فرفعت نقابها عن وجه ذابل وعينين حمراوين من فرط البكاء وقالت :
- إن زوجي لم يتركني ليلة الجريمة وهذه هي الحقيقة بعينها .
فتحول إلى "جوستاف جيروم" وقال له :

- إنك تعلم يا مسيو "جيروم" أنه توجد حقيقة أخرى .. فهل لك أن

تتكلم ؟

- إنني لا اعرف شيئا .. لا اعرف شيئا أبدا .

- بل تعرف .. وسوف تضطرنني إلى الكلام رغم إرادتي رغم ما ساسببه للبارونة من جرح عميق .

فبدت على وجه "جيروم" مظاهر القلق والاضطراب وغمغم :

- أرجوك يا سيدي المفتش .. إنك مقدم على أمر هائل .

- وكيف عرفت أنه كذلك ، إلا إذا كنت تعلمه حق العلم ؟ فهل لك أن تتكلم ؟

فلم يجر "جيروم" جوابا . وعندئذ استطرد "فيكتور" :

- في مساء يوم وقوع الجريمة قضى "جوستاف جيروم" وصديقه "فليكس ديفال" سهرة طيبة تناولا فيها كثيرا من الشراب ، حتى إذا ما عاد "جيروم" في الساعة العاشرة والنصف كان الشراب قد عثت بصوابه ، وزادته الكأس التي شربها في المشرب بعد ذلك ثملا . واستطاع بصعوبة أن يقود سيارته وإذا به يجد نفسه أمام منزله .. أو هكذا خيل إليه . فالواقع أن المنزل الذي ذهب إليه في تلك الليلة لم يكن ذلك الذي يسكنه الآن مع زوجته ، وإنما ذلك المنزل الذي يملكه وكان يقيم فيه أكثر من عشر سنوات . فقد هيا له الشراب أنه لا يزال كعهده عندما يعود من سهراته في باريس وكان المفتاح في جيبه ، ذلك المفتاح الذي أثار النزاع بين البارون وبينه ، فكان من الطبيعي أن يستعمله ، فلما دخل وجد كل شيء كعهده به - إنه يعرف هذه الردهة . وهذه الأبواب . رأى ذلك كله بعينه الزائغتين وعقله المختلط . ثم ها هي ذي حجرته . وكانت الحجرة مظلمة وتلك التي يظننها زوجته مستغرقة في النوم .

وفي تلك اللحظة نهضت مدام "دونري" واقفة ، وقد شحبت وجهها ولم تستطع النطق ، فجلست ثانية ، بينما استطرد "فيكتور" :

- وفتحت السيدة عينيها المثقلتين بالنعاس وخيل إليها أنه ليس إلا

زوجها .. فسمحت له بأن يقبلها اليس كذلك ؟ . ألسنت واهما بدوري ؟
فراحت مدام 'دونري' ترمق 'جيروم' في فزع مروع وكأنها استعادت
ذاكرتها بعض التفاصيل الدقيقة ، فما لبثت أن تخاللت قواها .
وهوت راحة أمام مقعدها وهي تخفي وجهها بين يديها .. بينما ظل
'جيروم' يتململ في مكانه في قلق وقد شمله التردد . وأخيرا غمغم
قائلا :

- ما كان ينبغي أن تفشي هذا السري يا سيدي المفتش . لقد كان الأمر
كما تقول . وكنت لا أعني شيئا . ولم أدرك الحقيقة المروعة إلا عندما
استيقظت في الساعة الساسة من الصباح . ولعل مدام 'دونري' تغفر
لي ما حدث .

فعلا الابتسام شفاه الحاضرين جميعا ، ولم يستطع قاضي
التحقيق أن يكتم شعوره فاندفع يضحك ضحكا متواصلا تبعه فيه
المسيو 'جوتيه' و'موليون' . بل 'جوستاف جيروم' نفسه . ولم يبق
على وجوهه سوى 'فيكتور' الذي أخذ بيد مدام 'دونري' وهو يقول:
- شد ما أنا أسف يا سيدتي . ولكن كان ينبغي أن أفعل ذلك من أجل
العدالة ، ومن أجلك أنت . وسوف تحمدين لي ذلك يوما ما .

خرجت المرأة وهي تتجلل بنقابها وقد حتى العار ظهرها . وما لبث
'جوستاف جيروم' أن خرج من الحجرة في إثرها .. واستطرد 'فيكتور':
- إنها هي التي أرشدتني إلى الحقيقة ، فقد كانت تتكلم عن عودة
زوجها تلك الليلة والذكرى التي تحفظها لها في حرارة غريبة كأنه أمر
نادر الوقوع بينهما ، فلما قال لي البارون في المساء إنه لا يكن لزوجته
سوى العطف والاحترام ، لا الحب ، عجبت لهذا التناقض وذكرت فجأة
قصة المفتاح الذي كان يتنازعه المالك والمستاجر . ففهمت حقيقة ما
حدث .

فقال قاضي التحقيق : ومعنى ذلك أن البارون هو ...

- هو قاتل الأب "ليسكو".

- وتلك المرأة . غادة سينما "بلتازار" ؟ .

- لقد كانت صديقة "إليز ماسون" وعلمت منها أن البارون يسعى إلى السندات وأنه سيسرقها من الأب "ليسكو" في تلك الليلة . فذهبت في أثره ، لا لتسرقها ، فإن المعلومات التي لدي تدل على أنها ليست بسارقة ، ولكنها عصبية المزاج ومن هواة الانفعالات النفسية ، ولم تذهب إلى هناك إلا من قبيل الفضول ، فكان حضورها وقت ارتكاب الجريمة ، فأسرعت بالفرار نحو سيارتها .

- أي نحو "أرسين لوبين" ؟

- لا . فلو أن "لوبين" هو الذي قام بهذا العمل لفعله خيرا من ذلك . ولكنه لم يكن يهتم وقتئذ إلا بالصفقة الأخرى ، ذات الملايين العشرة . أما البارون فقد ظل يهيم على وجهه في الطرقات طيلة الليل حتى انتهى به المطاف في الصباح إلى مسكن "إليز ماسون" دون أن يعلم أن زوجته قد زودته بدليل نفي قاطع ينفي الشبهات عنه .

فلما علم ذلك من الصحيفة التي اشتراها عند محطة الشمال ، عدل عن الفرار ، وأخفى السندات ، وعاد إلى منزله . ولكنه ما لبث أن أدرك الحقيقة من حديثه مع زوجته ، وأنها كانت تتكلم عن يقين، فأنهال عليها ضربا ولطما كما رأينا .

أما كيف أقحم "جوستاف جيروم" في جريمة لم يرتكبها وكيف جمعت الأدلة الزائفة حوله ، فذلك ما سنعرفه من زوجه "هنرييت" . فهل لك أن تدعوها يا سيدي القاضي وكذلك "فليكس ديفال" ؟

فدخلت المرأة الشابة في ارتباك وحياء ثم اتخذت مكانها في المقعد الذي قدمه لها قاضي التحقيق . وفي تلك اللحظة اقترب منها "فيكتور" وانحنى على الأرض أمامها كأنما يلتقط شيئا وكان ذلك مشبكا نحاسيا صغيرا مما تستعمله السيدات لشعرهن . ففحصه لحظة ثم

قدمه لـ "هنرييت" فتناولته في حركة طبيعية ووضعتة في شعرها ،
فقال "فيكتور" :

- هل هو مشبكك يا سيدتي ؟

- نعم .

- وهل أنت واثقة بذلك ؟

- تماما .

- اعلمي إذن انني لم أجده هنا ، ولكنني عثرت عليه بين مشابك
أخرى في إناء من البلور في الحجرة التي كان يستأجرها "ديفال"
بفندق "كلاريدج" ومعنى ذلك أنك لست إلا عشيقته المجهولة .

وكانت المفاجأة من العنف بحيث امتقع وجه السيدة وراحت تنظر
إلى "فليكس ديفال" في اضطراب بينما كان هذا مشدوها ذاهل اللب ،
ثم حاولت أن تغغم بعض الأقوال ولكن "فيكتور" قاطعها قائلاً :

- لا فائدة من الإنكار يا سيدتي ، فلدي عشرون دليلاً من هذا القبيل
وقد شاعت المصادفة أن تختاراً عشاء لغرامكما ذلك الفندق الذي اتخذته
"أرسين لوبين" مركزاً لقيادته .

وتقدم "فليكس ديفال" بعد أن استعاد هدوءه ، فقال للقاضي :

- إنني لا أقبل يا سيدي القاضي هذا التهم على سيدة شريفة .

فقال "فيكتور" : إنني يا سيدي العزيز لا أعدو أن أذكر الحقائق التي
يمكن التثبت من صحتها فإذا ما اقتنع سيدي القاضي بأنك عشيق
مدام "جيروم" حقاً ، فسوف يسائل نفسه إن لم تكن أنت ذلك المجهول
الذي تحدث إلى المفتش :موليون" تليفونيا وطلب إليه تفتيش مكتب
"جيروم" . وانك الذي أغريت عشيقتك على أن تنتزع رصاصتين من
مسدس زوجها ، ثم أغريت البستاني ، وهو أحد صنائعك ، على تلك
الأكاذيب التي ذكرها .

- ولكن ما فائدتي من ذلك كله ؟ لا ريب أنك قد جنت .

- لقد أصابك الدمار يا سيدي العزيز وأصبحت لا تملك شيئا ..
ولكن عشيقتك ثرية ومن السهل أن تنال الطلاق من زوج اتهم في
جريمة قتل ، حتى ولو ظهرت براءته فيما بعد وعندئذ تستطيع أن
تتزوج منها .

فنكس ديفال رأسه ، فكان الدليل القاطع على صحة ما تقدم.
واستطرد "فيكتور" قائلا للقاضي :

- وهكذا نرى يا سيدي سر قضية السندات المسروقة ومصرع الأب
"ليسكو" . ما مقتل "إليز ماسون" فسوف أحدثك عنه فيما بعد .
انفض الاجتماع . وفي الردهة أمسك المسيو "جوتيه" بذراع "فيكتور"
وقال له :

- لقد كنت شديد البراعة يا "فيكتور" ! .

- وكان يمكن أن أكون أكثر توفيقا من ذلك لو لم يتدخل "موليون"
فيفسد خطتي ، فقد اختار أن يهاجم الفندق في الوقت الذي كنت أمسك
العصابة كلها بين يدي

- أنت ؟ هل كنت هناك ؟

- بل في حجرة الإنجليزي "بيميش" .

- ولكن لم يكن فيها سوى ذلك الأمريكي "ماركوس أفيستو" !!

- الحقيقة يا سيدي الرئيس أن "ماركوس أفيستو" هو "فيكتور".
وبالعكس ، ولكني أعدك بأن أصلح خطأ "موليون" ، وأن أسلمك "أرسين
لوبين" لقمة سائغة بعد خمسة أيام أو ستة ، ولكن لا تخبر أحدا بذلك.
مضى "فيكتور" في طريقه والغبطة تملأ جوانحه . فقد تخلص من
كل ما يتعلق بسرقة السندات ، وجريمة الأب "ليسكو" ، و"جوستاف
جيروم" و"فليكس ديفال" وترك للبوليس أن يصفى حسابه مع هؤلاء
السادة ، وبذلك أيضا يستطيع أن يخصص كل وقته لغايته العظمى ،
فلم يبق لديه سوى "أرسين لوبين" ، و"الكسندرا" .. فهما وحدهما اللذان

يهمانه الآن .

ومن ثم قام بجولة واسعة عاد بعدها "ماركوس افيستو" مرة أخرى .
وفي الساعة الثالثة كان قد بلغ ميدان "سان جاك" . فقد كان اليوم
الجمعة وهو الموعد الذي ضربه للأميرة "الكسندرا" عندما فارقتها في
فندق "كلاريدج" .

* * *

وكان "فيكتور" واثقا بأن الأميرة سوف توافيه إلى هذا الموعد فجلس
على أحد مقاعد الحديقة ينتظر في هدوء وكان على مقربة منه بعض
الصبية يلعبون في الرمال بينما جلس على المقعد المقابل رجل يخفي
وجهه خلف صحيفة نشرها بين يديه .

فلما تجاوزت الساعة الثالثة دون أن تحضر الأميرة بدا القلق
يساوره ، وشاع الاضطراب في نفسه . هل اعتزمت أن تقطع صلتها
به؟ . وكيف يستطيع إذا ما فقد أثرها أن يصل إلى "أرسين لوبين"
عندئذ حانت منه نظرة إلى ساقى الرجل الجالس أمامه فادار وجهه
إلى الناحية الأخرى ليخفي الابتسامة التي تراقصت على شفثيه . ثم
انتظر خمس دقائق أخرى ونهض يسير إلى باب الخروج .

وعندئذ أحس بيد توضع على كتفيه وإذا بالرجل يعترض سبيله
قائلا :

- مسيو "ماركوس افيستو" . اليس كذلك ؟ .

- تماما . وانت . "أرسين لوبين" بلا ريب ؟ .

- نعم ولكنني أدعى الآن "أنطوان بريساك" .. فلا تنس ذلك وأنا

صديق الأميرة "بازيليف" .

وعرفه "فيكتور" فهو الرجل الذي كان مع الإنجليزي "بيميش" في بهو
الفندق ، وتامله مليا فراه وسيم الطلعة تبدو في نظراته لمحة من
الصلابة تخفيها ابتسامته الرقيقة .. وكان عريض المنكبين ذا جسم

رياضي رشيق ، وفكين عريضين ينمان عن صرامة وعزم . فقال له :

- لقد رايتك من قبل في فندق "كلاريدج" .

- أه ! إذن انت لا تنسى وجهها رايتة .. لقد كنت هناك حقا قبل ان

الزم حجرة "بيميش" كجرحى الحرب . وقد كانت إصابتي طفيفة ولما

جئت تنذر "بيميش" كنت قد شفيت منها .

- ولذلك كافاته بهذه الطعنة ؟ .

- وماذا أفعل . لقد أبى الوغد ان يعطيني تصريح الخروج الذي

زودته به ، ولكن دعنا من ذلك الآن وهيا تحضر امتعتك فإني ادعوك

لقضاء بضعة أيام في ضيافتي .

- هل الأمر عاجل إلى هذا الحد ؟ .

- عاجل ؟ إنها صفقة كبيرة .. عشرة ملايين ؟ .

- والاميرة ؟ .

- إنها تنتظرك .

(*)

ودرجت بهما سيارة "بريساك" إلى ضاحية "مونيلي" حيث وقفت امام

منزل صغير ذي طابقين ومضى "بريساك" بـ"فيكتور" إلى مخدع صغير

مجاور لحجرفته في الطابق العلوي ثم تركه ليخرج ثيابه من حقيبته ،

فلما خلا "فيكتور" بنفسه راح يدخل في استرخاء حتى جاء "بريساك"

في الساعة التاسعة ليصحبه إلى حجرة الاميرة في سرور وهي تشكره

على العناء الذي تجشمه من أجلها ومن أجل أصدقائها في "كلاريدج"

وما كاد يتم العشاء حتى استلقت على أريكة في ركن الحجرة ولم

تشارك في الحديث الذي بينهما قط .

وجلس "فيكتور" في مقعد مريح هانئا راضيا .. فالأمور تسير وفق

هواه وها هو ذا يصير موضع ثقة "أرسين لوبين" . بل ساعده الأيمن ،

وسوف تنتهي المغامرة كما يحب ويهوى . وها هو ذا يمسك "أرسين

لوبيّن بين أصابعه ويحيطه بشبّاكه .

وبدا "بريساك" يتحدث قائلا : لست أرى داعيا للمقدمات بيننا ويجدر بي أن أقول لك إن تلك الصفقة ذات الملايين العشرة قد جاعني بها "بيميش" . فقد تزوج من إحدى فتيات أثينا . وكانت تعمل عند رجل يوناني بالغ الثراء .

وقد قتلت تلك الفتاة في إحدى حوادث القطارات ولكنها كانت قد ذكرت لـ"بيميش" بعض معلومات عن مخدمها الثري .. ذلك أن هذا اليوناني خشي تدهور العملة في بلاده على أثر الحرب فباع أملاكه ومقتنياته جميعا وأنشأ ملفين يخص كل منهما نصف ثروته .. فأودع الأول في أحد المصارف الإنجليزية ودعا (ملف لندن) أما الثاني فقد دعا (ملف أ.ل.ب) مما يعني بلا ريب : البانيا .. ومن عجب أنه بينما كان الملف الأول كبير الحجم متضخما كان الثاني ربطة صغيرة طولها خمسة وعشرون سنتيمترا ، مختومة بالجمع الأحمر يحتفظ بها في درج مكتبه أو يحملها في حقيبته عند سفره فعلى أي صورة يحوي هذا الملف الصغير عشرة ملايين من الفرنكات هذا هو السر ؟ .

وقد أتاح لي نظام عصابتي الدولية أن أجمع التحريات عن هذا اليوناني حتى علمت أنه يقيم الآن في باريس ، وأنه مريض لا يغادر منزله أبدا ويقيم في الطابق الأسفل في حراسة شرطين سابقين استخدمهما لهذا الغرض .

كما علمت أن أبواب المنزل ونوافذه ، عدا الطابق العلوي ، متصلة بأجراس كهربائية تنذر بالخطر إذا ما حاول أحد أن يسطو عليه .

ولا ريب أنه ما كان ليحيط نفسه بكل وسائل الحذر والحيلة ما لم يكن يخفي في المنزل شيئا ثمينا يحرص عليه ، ولا يمكن أن يكون ذلك الشيء سوى الملف (أ.ل.ب) . وقد علمت أنه يحمل كل يوم إلى الطابق العلوي فيظل في حجرة مكتبه عدة ساعات .. ولا ريب أن الملف الذي

يحوي ثروة موجود في تلك الحجرة .. ولكن اين ؟ .. اين ؟ .. وقد
اعدت خطتي الآن للسطو على منزل اليوناني واعتمد عليك لمعاونتي
في ذلك ..

- وما هي شروطك ؟

- ربع الصفقة .

- كلا .. النصف إذا عثر على الملف (ال.ب)

- لن ادفع لك سوى الثلث .

- لا بأس .. اتفقنا .

وعندئذ وثبت الأميرة من مضجعها هاتفه :

- إن لي شرطاً واحداً الأخرى .. وهو ألا يراق دم أبداً في تلك
المغامرة ، وكفى أنني لا أزال في نظر الناس ، بل في نظرك أنت أيضاً
يا مسيو "افيسستو" قاتله "إليز ماسون" .. أنا أو العصابة التي اتصلت
بها .

- من قال ذلك ؟ إن الذي قتل "إليز ماسون" شخص لا يمت لكم
بصلة .. والرجل الوحيد الذي يمكنه أن يذكر اسم القاتل الحقيقي لم
يجد في نفسه الجرأة على ذلك .

- ومن هو ؟

- المفتش "فيكتور" .

- ماذا تعني ؟

- إنها فكرة خطرت لي من مجرى الحوادث وقراءة الصحف بإمعان
.. ولم يجرؤ "فيكتور" على ذكر الحقيقة لأنه رغم براعته ودهائه قد
ارتكب شططاً عن غير عمد .. أجل .. لقد قتلت "إليز ماسون" بسبب
إهمال "فيكتور" .. فقد ترك البارون "دونري" في السيارة بمفرده
ليتحدث في التليفون ولم يستطع الاتصال بإدارة البوليس إلا بعد مدة
طويلة كانت كافية لأن يعود البارون أدراجه إلى المنزل ليرى "إليز

ماسون" ثانية .. وكان المفتاح في جيبه .

- ولماذا يعود ؟ .

- لقد ذكرت الصحف أن المرأة ذعرت عندما علمت أن عشيقها ليس متهما بسرقة السندات فحسب .. وإنما بمقتل الأب "ليسكو" .. فتملكها الذعر والفزع واستشعرت خوفا من الرجل ، ومن العدالة .. وقد أدرك "دونري" من نظراتها أنها لابد واشية به يوما ما ، فأراد أن يراها ثانية ليقنعها بالصمت ، ويبدو أنها هددته . فقتلها . أما أنت فقد ذهبت بعد ذلك بساعة أو ساعتين لزيارة "إليز ماسون" لترى ما الذي اعتزمت عمله بعد أن أفلح البارون في سرقة السندات في الليلة السابقة أمام عينيك . ووجدت المفتاح في الباب فلما دخلت رايتها صريعة ، وقد خنقت بالمنديل البرتقالي ذي الخطوط الخضراء الذي كان هدية منك إليها .. فاخذته .

فقال "الكسندرا" وهي تلهث :

- تماما .. إن الأمر كما تقول .. لقد وجدته على الأرض فالتقطته .

- فالتفت "بريساك" إلى "فيكتور" وربت على كتفه قائلا :

- لله درك ! . لقد وقعت على مساعد عظيم حقا .. ولسوف تأتي بالعجائب عندما نعمل معا يا "ماركوس أفيستو" . ولكني لم أتم حديثي بعد ، فاعلم أن اليوناني يدعى "سريفوس" ويقوم بشارع "مايو" رقم ٩٨ مكرر أمام غابة "بولونيا" .. وسوف نقوم بالعملية يوم الثلاثاء القادم وسيبتظرنا ثلاثة من أعواني عند الباب الخلفي حتى نفاجئ اليوناني وحراسه ونوثق قيادهم .

* * *

وقضى "فيكتور" الأيام التالية وهو يستشعر نشوة فائقة فقد دنا يوم انتصاره ، ولكنه التزم جادة الحذر فلم يغادر المنزل ولم يتحدث في التليفون أو يرسل أية رسالة ، وكان يجد لذة قصوى وهو يرقب عن

كذب ذلك الرجل الذي طالما تحدث الناس عنه دون أن يروه ، ذلك الطاغية الجبار "أرسين لوبين" ، أو "أنطوان بريساك" كما يدعو نفسه الآن .

. * .

الحت "الكسندرا" في مرافقتهم ولكن عشيقها لم يوافقها على ذلك إلا بعد أن تدخل "فيكتور" في الأمر قائلا :

- كيف تخشى عليها الخطر وهي في رفقة "أرسين لوبين" العظيم ؟
وفي الليلة المعهودة سار ثلاثتهم ، و"بريساك" يحمل حقيبة متوسطة الحجم حتى بلغوا منزل اليوناني قراحوا يتسكعون حوله قليلا حتى يأمّنوا المباغثة .. فلما اطمأنوا أخرج "بريساك" سلما معدنيا من حقيبته وأخذ يمدّه حتى استند طرفه العلوي إلى إفريز إحدى نوافذ الطابق العلوى ثم قال :

- سوف أقطع زجاج النافذة ثم أفتحها من الداخل . وسأصعد أولا حتى إذا ما فتحت النافذة تبعثني "الكسندرا" . ثم أنت يا "ماركوس" .
وتسلق "بريساك" السلم بخفة الهر .. ثم تلتقه "الكسندرا" . وقد عاودها شحوبها ووجومها . وعندئذ قال "فيكتور" لنفسه :

- ها هما الآن في قبضة يدي . وليس علي إلا أن أكلم المسيو "جوتييه" في تليفونه الخاص فيحضر ليتسلمهما لقمة سائغة ، ولكن لا .. يجب أن أقهر هذا الوغد وهو في عنفوان قوته .. عندما يكون متلبسا بالجريمة ! ..

وكان "بريساك" يستحثه على الصعود خلفهما فأشار إليه بالانتظار قليلا واستطرد مناجيا نفسه :

- لا تتعجل القضاء يا صديقي ، فهلا تخشى السجن ؟ . الا استمتع بالراحة الآن وأنعم بالنجاح .. واحصل على الملايين العشرة .. فهذه

آخر مغامراتك يا سيد "لوبين" .. اما بعد ذلك فالسجن ..
ثم تسلق السلم في سرعة ونشاط .

الفصل الثامن

ما إن خطا "فيكتور" إلى الداخل حتى اسدل "بريساك" الستار فوق النافذة ثم أضاء نور الحجرة واحتضن "الكسندرا" وراح يراقصها . بينما اتخذ "فيكتور" مجلسه في مقعد وثير . فلما فرغ "بريساك" من عبثه التفت إلى "فيكتور" قائلاً . هل هذا وقت الجلوس ؟ . هلم إلى العمل .

ولكنني اعمل على طريقتك أيها الزعيم . اجلس مكاني وافكر .
- بل هيا بنا نفتح الباب لزملائنا اولاً . هل تخافين وحدك يا "الكسندرا" ؟

- لا .. لا .. اذهباً .

ففتح "بريساك" باب الحجرة في هدوء وإذا امامها بهو صغير ذو باب آخر يفتح على الردهة الخارجية المؤدية إلى الدرج . فهبطاه في حذر وحرص وبحثاً عن جهاز الإنذار فعطلاه ثم ذهباً إلى الباب الخلفي ففتحاه في خفة واطل "بريساك" منه ثم اطلق صفيراً خافتاً ما لبث أن جاء على اثره ثلاثة رجال غلاظ الأجسام فاغلق الباب على اثر دخولهم دون أن يقول لهم شيئاً وإنما قادهم إلى حجرة الحارسين ثم انثنى إلى "فيكتور" قائلاً :

- سادخل معهما ، ولسنا في حاجة إليك الآن فابق هنا للمراقبة .
وما كاد يختفي مع أعوانه حتى أسرع "فيكتور" ففتح الباب ثم أسرع إلى الحديقة ففتح بابها وتركه موارباً وعاد إلى مكانه ثانية وبعد قليل رجع "بريساك" فقال له :

- ولقد تم كل شيء على ما يرام ، ولكنني لم استطع أن اعرف شيئاً عن ذلك اليوناني اللعين الذي كاد يموت من الخوف فهيا بنا إلى المكتب

ثانية ، وقد أمرت الرجال بأن يبقوا هنا لحراسة الأسرى .
فلما صعد أغلق "بريساك" باب البهو الخارجي بالمفتاح وعاده إلى
حيث كانت الأميرة جالسة في مكانها بلا حراك فسألها "فيكتور" :
- الست خائفة ؟

- بلى . بلى لقد بدأ الخوف يدب في عروقي .
فصاح بها "بريساك" . هذا سخف يا "الكسندرا" .. فميم الخوف ونحن
هنا أمنون كأننا في منزلنا ؟

ثم بدأ يفحص الحجرة وهو يحدث نفسه بصوت عال :
- إن المشكلة هي أن تجد ملفا صغيرا طوله خمسة وعشرون
سنتيمترا ويمكن أن يحوي عشرة ملايين من الفرنكات على صورة ما .
فاين هو ؟ لنبدأ بالمكتب فما الذي فوقه ؟ . جهاز التليفون . بعض
الكتب ، سجلات حسابية ، مراسلات مع اليونان وانجلترا ، والأدراج
أوراق ومراسلات أخرى ، ألا يوجد درج سري ؟ . لا ثم ماذا ؟ علينا
بهذا الرف . أشياء تذكارية من اليونان . صور لفتاة صغيرة هي
حفيدة اليوناني . صندوق للحلي خال من أي شيء وليس له قاع
مزدوج . البوم للصور البوم للأطفال . طوابع بريد . كتب مصورة
للأطفال صندوق لأوراق اللعب .

وهكذا راح ينقب في أنحاء الحجرة جميعا يرفع الاثاث ويدق على
الجدران ، ويفحص كل شيء تقع عليه عيناه .
ولم يتحرك "فيكتور" من مكانه وظل يرقب "بريساك" بعينين يقظتين
حتى إذا ما مضى وقت طويل وقال له : إن الساعة الآن الثانية ،
ويجدر بنا أن ننسحب .

- هل جننت ؟ لماذا . هل أنت خائفة يا عزيزتي كهذا الأبله .

فقالت الأميرة : نعم . نعم هيا بنا .

فتنفذ صبر "بريساك" وصاح بها :

- ألم أقل لك . إن النساء العصبيات أمثالك يجبر بهن ألا يغادرن منازلهن . ولكني لن أعود صفر اليدين وأترك عشرة ملايين .

وعندئذ نهض "فيكتور" بغتة وهو يغمغم : أصغ .

- لست أسمع شيئا .

- لقد خيل إليّ .

وسادهم الصمت برهة بينما كان "بريساك" يوالي بحثه ومن جديد انبعث "فيكتور" يقول :

- أصغ ، أصغ .

- ماذا أيضا . ليس ثمة شيء .

- إنني موقن من حقيقة ما سمعت .

وتمللم "بريساك" من هذا المساعد العجيب فصاح به :

-- ألا تكف عن هذا الهراء وتساعدني في البحث .

فلم يتحرك "فيكتور" من مكانه ، وفي تلك اللحظة دوى صوت محرك

سيارة . ثم نباح كلب في الغناء المجاور . فقال "فيكتور" :

لقد فاتك شيء يا "بريساك" . فإن القمر قد اشرق الآن وهو يلقي

بأشعته على النافذة وسوف يبدو السلم واضحا للعيان .

فهز "بريساك" كتفيه في غير اكتراث ولكنه أراد أن يتحقق من هذا

القول فاطفا النور وأزاح الستار وراح يطل من النافذة . وعندئذ سمعه

"فيكتور" و"الكسندرا" يشتم شتما قبيحا وهو يرتد في فزع قائلا :

- لقد اختفى السلم .

فأسرع "فيكتور" ينظر بدوره . ثم عاد ليؤكد ما قاله الآخر

وأضاف :

- إن السلم لا يستطيع أن يتحرك بنفسه ، فمن الذي رفعه . هل هم

رجال البوليس ، إننا إذن مهددون بالخطر وسنسقط في الشرك كالأغرار .

- دعك من هذا الهذيان . فلن يمنعني شيء عن إتمام عملي .
وكف عن الكلام فجأة ، فقد انبعث من الطريق صوت خافت متصل ،
بينما همس "فيكتور" :
- هل سمعت الآن !

- نعم ، نعم ، لا ريب أنه أحد المارة يعود إلى منزله متاخرا .
- أو أولئك الذين رفعوا السلم . ولعلهم ذهبوا لاستدعاء
البوليس .

وكان ذلك فوق الاحتمال ، كان خطرا حقيقيا لقد ارتعدت اوصال
"بريساك" نفسه . فقد كان الخطر مجهولا لا يدرون كيف ينقض عليهم
فجأة .

* * *

وعاد "بريساك" ينقب في الحجرة من جديد والعرق يتصبب من
جبينه ، حتى هتفت "الكسندرا" فجأة : إنني ما عدت أحتمل أكثر من
ذلك .

فقال "بريساك" : حسنا . هيا بنا . سوف نخرج من الباب ولكن
"فيكتور" ظل جالسا مكانه . وهو يقول : أما أنا فسابقى !
- ما هذا الذي تقوله . سوف نهرب جميعا .

- كلا . فإننى متى بدأت عملا فلا بد لي أن أتمه . وسوف أحل
المسألة بطريقة أخرى . فإنك لا تعرف كيف تبحث . وكذلك أنا ، ومع
ذلك فهناك إخصائيون لذلك ككل شيء الآن . وسوف ادعوا أحدهم .

ودنا من جهاز التليفون فطلب رقما . فصاح به "بريساك" :

- ماذا تفعل أيها الأحمق .

- الشيء الوحيد الذي ينبغي أن افعله ، فما ينبغي أن اترك هذه الفرصة الثمينة التي قد لا تسنح لي أبدا وسوف ادعو أحد أصدقائي . وهو رجل شديد البراعة كما ستري ، الو ، هذا أنت أيها الرئيس ، إنني "ماركوس أفيسـتو" ، وأنا الآن في منزل ذي طابقين بشارع "مايو" رقم ٩٨ مكرر وسوف تجدني في الطابق العلوي ، فتعال الآن ، واحضر بعض الرجال ومنهم "لارمونا" ، وستجد باب الحديقة وباب المنزل الداخلي مفتوحين ، كما ستجد في الطابق الأسفل ثلاثة من أعوان "أرسين لوبين" ، أما هنا فسوف تجد "لوبين" نفسه ، مهزوما ، ذليلا ، موثق القياد كالمومياء .

وتهمل "فيكتور" لحظة وهو يخرج مسدسه ويصوبه إلى "بريساك" الذي كان يهم بالانقضاض عليه وصاح به : مكانك يا "لوبين" ، وإلا قتلتك ككلب حقير .

ثم استطرد في حديثه في التليفون :

- أفهمت يا سيدي الرئيس . سوف تكون هنا بعد نصف الساعة ولكن هل عرفت صوتي . أجل ، "ماركوس أفيسـتو" أو بالأحرى . أو بالأحرى ...

وكان يبتسم لـ"بريساك" وينحني أمام الأميرة وهو يتم عبارته قائلا :

- أو بالأحرى "فيكتور" ، المفتش ببوليس الآداب .

واحتمل "بريساك" الصدمة دون أن يبدو عليه الانزعاج وما لبث أن أخرج مسدسه بدوره ولكن الأميرة ألقت بنفسها عليه وهي تصيح : كلا ، أما هذا فلا .

ثم اختطفت المسدس من يده ، وعندئذ ألقي "فيكتور" مسدسه في ركن الحجرة وهو يقول :

- إن النتيجة واحدة يا صديقي ، فبعد نصف الساعة يضع رئيسي

العظيم مسيو جوتيه" يده على كتف السيد لوبين".

- أجل . ولكن إلى أن يحين ذلك أيها الوغد . سوف نرى .

ثم عقد ذراعيه فوق صدره العريض فبدت قوته الهائلة بجانب ذلك المفتش ذي الوجه المتغضن والكفتين الضامرتين ومع ذلك فقد راح "فيكتور" يقول .

- إلى أن يحين ذلك سوف تظل هادئا يا عزيزي "لوبين" . أجل إنك تسخر الآن من هذا النضال الذي تراه غير متكافئ . . النضال بين "ارسين لوبين" القوي ، و"فيكتور" العجوز المتداعي . ولكن لا يا صديقي، فليس للقوة البدنية شأن اليوم . وإنما الفوز للعقل دون غيره . ولقد اظهرت يا "لوبين" أن ذكائك الخارق قد خانك . فكيف ذلك ؟ وما هذا التخبط ؟ . "لوبين" الشهير الذي كنت أظن أنني ملاق أشد العناء في نضاله ؟ . "لوبين" الذي لا يقهر ؟ . "لوبين" العملاق العظيم ؟ . آه ! . إنني لأسائل نفسي إن كان نجاحك حتى الآن سببه أنك لم تلق قط خصما قويا . مثلي . مثلي .

وراح يقرع صدره بقبضة يده وهو يردد في قوة :

- أجل مثلي أنا . مثلي أنا .

فهز "بريساك" رأسه وقال وهو منهمك : لقد أجدت تمثيل دورك أيها الوغد فحذعتني . ولكنك لن تنالني بسهولة .

- ها . ها . إنك ترتعد يا "لوبين" . فماذا أنت صانع إذن عندما يقبض البوليس على عنقك ؟ . أجل . هذا ما أردته . لقد عنيت بأن اظهرك على حقيقتك أمام عشيقتك . أردت أن أريها أنك لا تقل جبنا عن نعمة . ها . لقد اختفى السلم ! . لا يا سيدي إنه لم يختف ولكني أزحته بقدمي عندما خطوت إلى الحجرة . ألا تتحرك أيها النذل . إن عشيقتك تنظر إليك وتترقب ما تفعله . هل أنت مريض . أم أصابك

الشلل ؟

فقال "بريساك" لـ "الكسندرا" : هل لك أن تفتحي الباب يا عزيزتي ؟
لكن المرأة لم تتحرك من مكانها فأسرع "بريساك" إلى الباب بنفسه
وإذا بالشتائم تنثال من فمه وهو يغمغم يا للجنة ! إنه موصدا !
فقال "فيكتور" ضاحكا :

- ألم تدرك ذلك إلا الآن ؟ إن المفتاح في جيبتي . ولن أعطيه لك فبيبتك
وبين الفرار قوة لا تقهر . هي إرادة المفتش "فيكتور" .
فسار إليه "بريساك" متمهلا والشرر يقدر من عينيه بينما استطرده
"فيكتور" :

- هيا .. تقدم ولتاخذك الشفقة بشعري الأشيب .. تشجع .
فانقض عليه "بريساك" وسقطا يتدحرجان معا على الأرض وقد نشب
بينهما صراع عنيف كانت "الكسندرا" ترقبه في فزع دون أن تقوى على
الحراك .. وأخيرا قام أحدهما وهو يبتسم ..

ولكنه لم يكن "أنطوان بريساك" .. بل المفتش "فيكتور" .. فقال لها :
- هل يدعشك هذا ؟ إنها ضربة خاصة لا تخيب أبدا ولكن لا تراعي ،
فلن يلبث أن يفيق .

- ما الذي أنت صانع به ؟
- سوف أسلمه للعدالة ، أما أنت فيحسن أن تذهبي بلا إمهال .
- كلا .

- على رسلك ، ثقي بأنه لا توجد قوة على الأرض تجعلني أعفو عنه ،
إنني لا أعمل منذ شهر كامل إلا لهذا الغرض ! للقبض عليه ! ورفع
القناع عن حقيقته ، وإنني لا أمقته فقط ، ولكني أحتقره ، انظري إليه
وهو طريق كالخنزير الذبيح ، واعترفي أنه قد خدعك ، لقد كنت
تتوقعين أن تري ما هو أفضل من ذلك ، أهذا هو "لويين" الذي تسلط

عل عقلك ومشاعرك ؟

واح يضحك في جذل فقالت لاهثة :

--هل خدعني ! من هو إذن ؟

- "انطوان بريساك" .

- أجل . أجل . ولكن من هو "انطوان بريساك" .

- إنه هو لا أكثر ولا أقل ، لص حقير لا يعرف حتى مبادئ مهنته

ولكن الا تذهبين ؟ إنني أسمع صوت سيارة البوليس وها هم أولاء

رجالنا ، لا باس . ضعي منديلك فوق وجهك ولا تخشي شيئاً .

وبعد قليل كان المسيو "جوتيه" يدخل الحجرة وهو يصيح في

عجب .

- يا لله ما أروع هذا يا "فيكتور" ، إنه يوم خالد في تاريخ العدالة .

* * *

وكان "بريساك" قد أفاق من إغمائه وراح ينظر بعينين شاردتين إلى

القيود التي أحاطت بمعصميه بينما استطرد مسيو "جوتيه" : ومن

هذه المرأة ؟

- إنها عشيقة "لويين" وشريكته .

- مرحى . مرحى . سوف تقص علينا تفاصيل ذلك فيما بعد ولكن

سندات الدفاع الوطني ؟

- إنها في جيبي يا سيدي الرئيس .

فغمغم "بريساك" في حلق : يا لك من وغد ! .

- أكنت تظنها في مامن أيها الغر الأحمق . شق قديم في منزلك في

"تويلي" ؟ . لقد اكتشفت مكانها منذ الليلة الأولى .

وجاء بقية الرجال ومعهم اليوناني "سرفيوس" يستند إلى حارسه

فما إن وقع بصره على "بريساك" حتى صاح : أجل ، إنه هو ، هو الذي

ضربني واوثقني .

وامسك عن الكلام بغثة وراح يحرك ذراعيه في فزع وهو يشير إلى
الرف الذي يجاور مكتبه :

- لقد سرقت ملاييني العشرة . إنه البوم الطوايع . وفيه مجموعة لا
تقدر بمال . أيها التعس المنكود عشرة ملايين .

وراحوا يفتشون "بريساك" ولكنهم لم يجدوا شيئا معه بينما قال
"فيكتور" :

- إنني أعجب لما يقوله مسيو "سرفيوس" فقد صحبت "انطوان
بريساك" إلى هنا ولم أكف عن مراقبته لحظة ولا ريب أن الألبوم قد
سرق من قبل .

وبعد قليل كانت سيارتا البوليس تمضيان في طريقهما إلى إدارة
الشرطة وفي الأولى مسيو "جوتيه" و"انطوان بريساك" وبعض الرجال
أما الثانية فكان فيها المفتش "فيكتور" والأميرة "بازيلييف" و"لارمونا" .
وقد وصلت الأولى إلى الإدارة .. أما الثانية فلم تصلها ولكن
"لارمونا" عاد والسائق لينكرا لرؤسائهما أن "فيكتور" أوقف السيارة
أمام مشرب صغير يرتاده صائدو السمك في الصباح الباكر وطلب إلى
"لارمونا" أن يحضر لهم بعض القهوة الساخنة ولم يلبث أن أرسل
السائق في أثره ليطلب إليه أن يجلب بعض الفطائر أيضا .. فلما
خرج لم يجد السيارة ومن فيها .

وعجب مسيو "جوتيه" أي عجب . وبعث من يبحث عن "فيكتور" في
منزله . وإذا بالمنزل خال قد هجره ساكنوه .

ولكن هذا العجب لم يلبث أن تبدد عندما نشر في الصحف في

الصباح التالي خطاب من "أرسين لوبين" تناقلت أسلاك البرق خبره فبعث في العالم قاطبة عاصفة مدوية من الضحك والدهشة .

"يجدر بي أن أعلن للملأ أن المفتش "فيكتور" ، ببوليس الآداب ، قد انتهى إلى غير رجعة فقد كانت مهمته في الأيام الأخيرة منصبة على هدف واحد . هو اقتفاء أثر "أرسين لوبين" المزيف ، ورفع النقاب عن وجه ذلك الأشاق "أنطوان بريسك" الذي أراد أن ينتحل اسم "أرسين لوبين" العظيم وشخصيته اللامعة .

وقد سلمني "فيكتور" قبل اختفائه سندات الدفاع الوطني المسروقة وكلفني أن أعيدها إلى مسيو "جوتيه" حرصا مني على شرفه كشرطي امين . وهانذا أنفذ رغبته وسوف يجدها مدير البوليس في مكتبه صباح الغد .

"وأما الملايين العشرة فكان أمرها أسهل من ذلك بكثير ولقد ظن ذلك المغفل "بريسك" الحروف (ال.ب) تعني البانيا . ولكنه عندما يحصي محتويات الحجرة وينطق بأسماء الأشياء التي لم يقلبها سمعه الدكتور يقول :

- البوم للصور ، البوم للأطفال فيه طوابع بريد " ففهم أن الحروف ال.ب لا تعني سوى (البوم) وانتهاز فرصة سنحت له فوضعه في جيبه واعتزم أن يحتفظ بالملايين العشرة لنفسه جزاء وفاقا لما بذله من جهد .

- ولم تبق سوى كلمة واحدة .. هي أن "فيكتور" عندما قاد هذه المعركة ضد "أرسين لوبين" وجد نفسه أمام المرأة التي أعجب بها أيما إعجاب عندما رآها أول مرة في سينما "بلتازار" ، وقد كانت ضحية ذلك

المغامر الافاقى ، فرأى أن يعيد إليها حريتها ومكانتها في المجتمع ..
فلعلها تتقبل الآن وداع المفتش "فيكتور" ، وماركوس افيستو وتحيات
"أرسين لوبين" .

تمت بحمد الله

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !

الروايات الكاملة .. والمعربة

للروايات البوليسية العالمية

أرسين لوين

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦

أخي القارئ العربي :

تحية وبعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات أرسين لوين

نعم..

إنها أشهر الروايات البوليسية..

هذه فرصتك اليوم.. وليس غداً، إن دار ميوزيك تتيح لك هذه

الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات أرسين لوين.

نعم جميعها ومعربة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران أمريكيان، وثمان (٦) ست روايات

(١٠) عشرة دولارات أميركية، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات

وتحصل على رواية إضافية مجانية.

ترسل الطلبات بموجب شيك على أي مصرف في لبنان وبالدولار

الأمريكي، ودار ميوزيك لا تتحمل مسؤولية إرسال أي مبالغ نقدية

داخل الرسائل !

أقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وأن يكون الشيك

مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
				١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١

..... : الإسم

..... : العنوان

..... : ص ب المدينة : الرمز البريدي :

..... : الدولة

مرسل طيه شيك بمبلغ دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

١	أرسين لوبين بوليس آداب
٢	أرسين لوبين بوليس سري
٣	الماسة الزرقاء
٤	أرسين لوبين رقم ٢
٥	أرسين لوبين في السجن
٦	المعركة الأخيرة
٧	أرسين لوبين في موسكو
٨	أرسين لوبين في قاع البحر
٩	أرسين لوبين في نيويورك
١٠	أسنان النمر
١١	الميراث المشؤوم
١٢	أصبح أرسين لوبين
١٣	لصوص نيويورك
١٤	اعترافات أرسين لوبين
١٥	الإبرة المجوفة
١٦	الإنذار